منازل الآيات

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الكتاب:	منازل الآيات
نشر:	جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد:	جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
الإعداد الإلكتروني:	شبكة المعارف الإسلامية_www.almaaref.org
الطبعة:	الأولى، نيسان ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

منازل الآيات

إعداد

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

بسم الله الرحمان الرحيم

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

إن القرآن الكريم هو المدرسة الإلهية المفتوحة على مر الأزمان لتخرج المؤمنين والأتقياء والصالحين والأولياء، ينهل من نوره من أراد، يخاطب الناس جميعا على اختلاف قدراتهم العلمية وقابلياتهم الذهنية.

والقصص هو أحد الأساليب القرآنية لإيصال النور والهداية إلى العقول والقلوب، تتميز بقوتها وتأثيرها وإمكانية الاستفادة منها وإدراكها وايصال أهدافها إلى جميع أفراد الإنسان.

وهذا الكتاب الماثل بين يديك يتعرض لمجموعة من القصص القرآنية لبيان أهدافها وشرح مفرداتها والاضاءة على مفاهيمها، ليضاف إلى سلسلة الدروس الثقافية.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الكريم، الذين يهتدون بهداه، ويوفقنا لأخذ قصصه عبرة تعيننا على دنيانا لتقومها وتصلح آخرتنا، فنكون من الفائزين، وله الحمد أولا وآخرا.

جمعية المعارف الاسلامية الثقافية

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الأول

حبّ الجاه والعزة الموهومة

"هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"[1]

قصة هاتين الآيتين

عند عودة الناس من إحدى الغزوات إذ وردت واردة الناس[2] ومع أحد المسلمين أجير له من المهاجرين يقود فرسا، فازدحم المهاجري مع رجل من بني عوف بن خزرج وهم من الأنصار على الماء فاقتتلا فصرخ الأنصاري: يا معشر الأنصار وصرخ الغفاري: يا معشر المهاجرين؛ فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له: جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن أبي لجعال: إنك لهتاك فقال: وما يمنعني أن أفعل ذلك؟ واشتد لسان جعال على عبد الله. فقال عبد الله: والذي يحلف به لازرنك ويهمك غير

١- المنافقون:٧-٨

٢- الواردة: هم الناس الذين يأتون الى مواضع المياه.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

هذا. وغضب ابن أُبيّ وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن فقال ابن أُبيّ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما جعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم. فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا أحبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب. فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل وأرسل إلى عبد الله فأتاه فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وإن زيدا لكاذب، وقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار عسى أن يكون هذا الغلام وهم في حديثه. فعذره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفشت الملامة من الأنصار لزيد. ولما استقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسار لقيه أسيد بن الحضير فحياه بتحية النبوة ثم قال: يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعز منها الأذل. فقال أسيد: فأنت والله يا رسول الله تخرجه إن شئت.

هو والله الذليل وأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله أرفق به فوالله لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد

علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي أن يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا[٣].

حبّ السلطة من أعظم الأمراض

إن من أعظم ما يُبتلى به الإنسان المؤمن ويؤدي إلى خروج هذا الإنسان من الإيمان إلى الكفر هو تعلّقه بالسلطة والجاه، فإنّه يفتك بكل مقومات إيمان المسلم وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما ذئبان ضاريان أُرسلا في زريبة غنم، بأكثر فسادا فيها من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم[٤].

وإنّما كان التعلّق بالرئاسة أخطر من التعلّق بالمال أو الدينار لأنّ الإنسان قد يبذل المال لأجل الوصول إلى السلطة والجاه دون العكس، فقد ورد في الرواية عن الإمام زين العابدين عليه السلام: إن في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلبا للرئاسة[٥].

وهذا خير شاهد على شدّة تعلق الإنسان بالجاه والسلطة، وكون ذلك من أقوى مكائد الشيطان وأشدها فتكا بالإنسان.

آفات حبّ الرئاسة

١- التكبّر والفخر:

إن من البلاءات التي يبتلي بها طالب الرئاسة وهو من أعظم المفاسد الأخلاقية التكبّر، فالإنسان المتعلّق قلبه بحبّ الرئاسة متى رأى الناس تمشي خلفه وتنصاع أوامره، أُصيب بذلك الداء فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إياكم

٣- تفسير الميزان السيد الطباطبائي ج ١٩ ص ٢٨٣ – ٢٨٤,

٤- جامع السعادات محمد مهدي النراقي ج ٢ ص ٣٦,

٥- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٢ ص ٨٤.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك[٦].

إن الشخص الذي يترأس الناس يبدأ بالتفاخر عليهم، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: آفة الرئاسة الفخر[٧].

٢- ظلم الناس:

إن تولّي الرئاسة والسلطة يُلقي على عاتق الإنسان مسؤولية إقامة العدل بين الناس، وأي تقصير في ذلك يجعل الإنسان مسؤولا أمام الله عز وجل عن ذلك، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل[٨].

ولا ينحصر مصداق هذه الرواية بمن يتولى رئاسة الدولة أو المناصب العليا، بل يشمل حتى المسؤوليات الصغيرة والتي يكون المتصدي لها مسؤولا عن دائرة ضيقة من الناس أو من الأعمال.

٣- النفاق:

إنّ من الموروثات التي تنتقل إلى من يحب الرئاسة النفاق، وهي أخطر ما يمكن أن يعيشه من يحب الرئاسة، أنّه وفي سبيل الرئاسة يسعى لمهادنة الناس واحدا بعد آخر، وأن يَظهر بوجهٍ حسنٍ أمام كل واحد منهم ولو كان ذلك مستلزما لأن يكون ذا وجهين، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ورأيت الرجل يطلب الرئاسة لعرض الدنيا ويشهر نفسه بخبث اللسان ليتقي وتسند إليه الامور[٩].

العزة الحقيقية والعزة الموهومة

أولا: العزة الحقيقية

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

٦- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٩٧,

٧- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٠٠٧,

٨- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٦ ص ٣٩٣,

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٥٢ ص ٢٥٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

العزة هي صفة تجعل الإنسان في مكانة ينال فيها الاحترام والتقدير، عن حق وبأسباب ورد عدّها في الروايات موجبة للعزة. فما هي موجبات العزة الحقيقية:

أعظم العز

١- العبودية لله

إذا أدرك الإنسان حقيقة الذات الإلهية، وعرف الله عزّ وجل حق المعرفة، فإنّه سوف يرى أعظم العز في أن يكون عبدا لله عز وجل، وقد ورد في إحدى مناجاة أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: إلهي كفى بي عزا أن أكون لك عبداً وكفى بي فخرا أن تكون لي رباً[١٠].

وقال تعالى: "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ"[١١].

٢- الطاعة لله

إذا كان كل ما في هذا الكون خاضع لله عز وجل وطوع إرادته، فإن العزّ الذي يناله الإنسان لا يكون إلا بالطاعة لمن بيده أمر هذا الكون، ولذا ورد في الروايات بيان طريق نيل العزّة من خلال سلوك طريق الطاعة فعن الإمام الصادق عليه السلام: من أراد عزا بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته[١٢].

وعن الإمام علي عليه السلام: لا عزّ كالطاعة[١٣].

ثانيا: العزّة الموهومة

١٠- روضة الواعظين الفتال النيسابوري ص ١٠٩,

١١- فاطر: ١٠

١٢- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٨ ص ١٧٨,

١٣- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٣ ص ١٩٥٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

١- العزة بالمال والدنيا:

يظن الكثير من الناس أن العزيز هو الذي يملك المال والدنيا، يتصرف كما يشاء ويمتنّ على الآخرين بالعطايا، وهو مفهوم خاطئ فلربّ فقير في المال غني في نفسه، بينما صاحب المال يعيش الذل، لحرصه على المال، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل: أي ذلّ أذل؟ قال: الحرص على الدنيا[١٤].

كما ورد في روايات أخرى ذم الطمع بالدنيا وأنه موجب للذل، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ثمرة الطمع ذل الدنيا وشقاء الآخرة[١٥].

٢- العزة بالعشيرة:

إن العصبية العمياء قد تقود الإنسان إلى المهالك، فهو يرى في العشيرة عزّة وإن كانوا قوما لا يعرفون الله عز وجل، وهذا ما حاول أن يفتخر به عبد الله بن أبي، في الحادثة التي نزلت فيها الآية وهذه العصبية المذمومة هي التي تعرّضت لها الروايات فقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام لما سئل عن العصبية: العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم[١٦].

فهذا إبليس أراد أن يعتزَّ بأصله وأنّه من نار فوقع في أعظم المعاصي وقد ورد في رواية عنه عليه السلام أيضا: اعترته الحميَّة، وغلبت عليه الشقوة، وتعزز بخلقة النار، واستوهن خلق الصلصال[١٧].

١٤- معاني الأخبار الشيخ الصدوق ص ,١٩٨

١٥- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ,١٧٤١

١٦- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٠ ص ,٢٨٨

١٧- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٤ ص ٣٠٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

خلاصة الدرس

- حبّ الجاه والسلطة مرض قلبي أخطر من حب المال، لأن الإنسان يبذل المال في سبيل السلطة والجاه دون العكس.
- آفات حب الرئاسة: [١]- التكبر والفخر، ٢- ظلم الناس، [٣]- النفاق.
- العزة الحقيقية هي العزة التي تكون لله ولرسوله وللمؤمنين، وأعظم العزة تتمثل بأمرين: العبودية لله والطاعة لله.
- العزة الموهومة تتمثل بالعزة بالمال والدنيا، والعزة بالعشيرة وذلك بأن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين.

أسئلة حول الدرس

١- كيف تفسير قول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية: يترك الدنيا للدنيا.
٢- كيف يقع من يحب الجاه والرئاسة في النفاق؟
٣- كيف تفسّر كون العبودية لله عز وجل عزا حقيقيا؟
٤- متى يكون العز بالعشيرة مذموما؟

للمطالعة

ورد في كتاب بحار الأنوار:

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

(اعلم أن المتكبر عليه هو الله أو رسله أو ساير الخلق، فهو بهذه الجهة ثلاثة أقسام الأول التكبر على الله، وهو أفحش أنواعه ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان، مثل ما كان لنمرود وفرعون. الثاني التكبر على الرسل والأوصياءعليهم السلام كقولهم: "أنؤمن لبشرين مثلنا" "ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون" "وقالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا" وهذا قريب من التكبر على الله عز وجل، وإن كان دونه، ولكنه تكبر عن قبول أمر الله. الثالث التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه، ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع عليهم، فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم، وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين: أحدهما أن الكبر (والعزة والعظمة لا يليق إلا بالمالك القادر فأما العبد الضعيف الذليل المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء، فمن أين يليق به الكبر) فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله، وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى " العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته " اي أنه خاص صفتي ولا يليق إلا بي، والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي، فإذا كان التكبر على عباده لا يليق إلا به، فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه، والوجه الثاني أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره، لأنَّ المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله، استنكف عن قبوله... وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين، إذ وصفهم الله تعالى فقال: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" وكذلك يحمل ذلك على الأنفة من قبول الوعظ كما قال تعالى: "وإذا قيلَ لهُ اتقِ الله أخذته العزة بالإثم"[١٨].

١٨- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٠ ص ١٩٤-١٩٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الثاني

التسويف والاصرارعلى التوبة

"لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[1].

قصة الآيات

إن ثلاثة من المسلمين وهم: "كعب بن مالك " و "مرارة بن ربيع " و "وهلال بن أمية "، امتنعوا من المسير مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والاشتراك في غزوة تبوك، إلا أن ذلك ليس لكونهم جزءا من المنافقين، بل لكسلهم وتثاقلهم، فلم يمض زمان حتى ندموا. فلما رجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك حضروا عنده وطلبوا منه العفو عن تقصيرهم، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكلمهم حتى بكلمة واحدة، وأمر المسلمين أيضا أن لا يكلموهم. لقد عاش هؤلاء محاصرة اجتماعية عجيبة وشديدة، حتى أن أطفالهم ونساءهم

١- التوبة:١١٧-١١٨

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وطلبوا الإذن منه في أن يفارقوا هؤلاء إلا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأذن لهم بالمفارقة، لكنَّه أمرهم أن لا يقتربوا منهم. إن فضاء المدينة بوسعته قد ضاق على هؤلاء النفر، واضطروا للتخلص من هذا الذل والفضيحة الكبيرة إلى ترك المدينة والالتجاء إلى قمم الجبال. ومن المسائل التي أثرت تأثيرا روحيا شديدا، وأوجدت صدمة نفسية عنيفة لدى هؤلاء ما رواه كعب بن مالك قال: كنت يوما جالسا في سوق المدينة وأنا مغموم، فتوجه نحوي رجل مسيحي شامي، فلما عرفني سلمني رسالة من ملك الغساسنة كتب فيها: إذا كان صاحبك قد طردك وأبعدك فالتحق بنا، فتغير حالي وقلت: الويل لي، لقد وصل أمري إلى أن يطمع بي العدو!

خلاصة الأمر: إن عوائل هؤلاء وأصدقاءهم كانوا يأتونهم بالطعام، إلا أنهم لا يكلمونهم قط، ومضت مدة على هذه الحال وهم يتجرعون ألم الانتظار والترقب في أن تنزل آية تبشرهم بقبول توبتهم، لكن دون جدوى في هذه الأثناء خطرت على ذهن أحدهم فكرة وقال: إذا كان الناس قد قطعوا علاقتهم بنا واعتزلونا، فلماذا لا يعتزل كل منا صاحبه، صحيح أننا مذنبون جميعا، لكن يجب أن لا يفرح أحدنا لذنب الآخر. وبالفعل اعتزل بعضهم بعضا، ولم يتكلموا بكلمة واحدة، ولم يجتمع اثنان منهم في مكان. وأخيرا... وبعد خمسين يوما من التوبة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى قبلت توبتهم ونزلت الآية في ذلك[٢].

إياك والتسويف

فرض الله عز وجل على الإنسان تكاليف، ولهذه التكاليف وقتها المحدد، والتخلّف عن هذا الوقت موجب لضياع هذا الواجب ويتحمل الإنسان مسؤولية ذلك، والشيطان قد لا يتمكن من إغواء الإنسان وإيقاعه مباشرة في ترك فعل

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦، ص ٢٤٦-٢٤٧.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الواجب، ولكنه يفتح أمامه أبواب أخرى يوقعه من خلالها في المعصية ومن ذلك التسويف، فيمنّيه بتأخير الواجب إلى أن ينتهي وقته فيعصي الله كما حصل مع الثلاثة الذين تعرضت لهم الآية.

التسويف ملازم للهلاك

وهكذا يهلك بني آدم، كهلاك الغريق، إذ يصيبه الهلاك بشكل تدريجي وهو يشعر به ولكنه لا طريق له للخلاص منه ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: إياك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى[٣].

كيف نواجه حالة التسويف؟

١- الأجل يأتي بغتة

من الأمور التي يتمكن فيها الإنسان من الغلبة على التسويف أن يلتفت دائما إلى أن الأجل والموت يأتي فجأة، حيث لا يتمكن بعده من أن يتدارك شيئا، دون سابق إنذار أو تحذير وهذا ما وردت به الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: فتدارك ما بقي من عمرك، ولا تقل: غدا وبعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف، حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون[٤].

فليعلم الإنسان أنّه ليس له من ساعته إلا هذه التي يعيش فيها، ولذا هل يضمن لو سوّف فعلا من الأفعال الواجبة عليه أنه يتمكن من الإتيان به؟ وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا ذر ! إياك والتسويف بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم، وان لم يكن غد لك لم تندم على ما فرطت في اليوم[٥].

والإنسان لما كان لا يدري متى يحين أجله، بل يأتيه بغتة دون سابق إنذار كيف

٣- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٥ ص ١٦٤,

٤- الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٠ ص ٧٥,

٥- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٤ ص ٧٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

يقوم بتأخير التوبة، ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: (مسوف نفسه بالتوبة، من هجوم الأجل على أعظم الخطر)[٦].

٢- الطمع بالمغفرة الإلهية

قال تعالى: "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيما حَكِيما"[٧].

ذهب بعض المفسرين إلى تفسير لفظة "من قريب" بالزمان القريب من وقت حصول المعصية، فيكون المعنى أن يتوبوا فورا، ويندموا على ما فعلوه بسرعة، ويتوبوا إلى الله، لأن التوبة الكاملة هي التي تغسل آثار الجريمة وتزيل رواسبها من الجسم والروح بشكل مطلق حتى لا يبقى أي أثر منه في القلب، ولا يمكن هذا إلا إذا تاب الإنسان وندم قبل أن تتجذر المعصية في كيانها، وتتعمق آثارها في وجوده فتكون له طبيعة ثانية، إذ في غير هذه الصورة ستبقى آثار المعصية في زوايا الروح الإنسانية، وتعشعش في الخلايا[٨].

أهمية الإصرار على التوبة

من الدروس المستفادة من هذه القصة أنّ على الإنسان أن يصرّ على التوبة، ولا ييأس من مغفرة الله عز وجل، فرغم التضييق الذي عاشه هؤلاء الثلاثة إلا أنّ ذلك لم يثنهم عن طلب التوبة والمغفرة.

وذلك بأن لا يقع في اليأس من روح الله ويعلم أن الله عز وجل فتح له باب التوبة لكي يتوب عنه وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: "ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة، ولا ليفتح لعبد باب الدعاء ويغلق عنه

٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٣٤٤,

٧- النساء:١٧

٨-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٣ ص ١٥٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

باب الإجابة، ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة"[٩].

بل إن من كبائر الذنوب اليأس من رحمة الله، لأن الإنسان الذي يقع في المعصية ثم يقع في اليأس من رحمة الله، لا يُقدم على التوبة بعد ذلك، لأنه سوف يرى نفسه غارقا في الذنوب لا يُمكنه الخروج منها، وذلك خلافا لمن يقع في المعصية ولا يقع في اليأس فإنّه يبقى أقرب إلى الله عز وجل وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد المقنط[١٠].

وعن أمير المؤمنين في وصيته لولده الحسن: أي بني، لا تؤيس مذنبا، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار، نعوذ بالله منها[١١].

خلاصة الدرس

- من الأبواب التي يدخل منها الشيطان ليوقع الإنسان في المعصية أن يمنّيه بتسويف الإتيان بالواجب.
- نواجه حالة التسويف: ١- بالالتفات إلى أنّ الأجل يأتي بغتة. ٢- الطمع بالمغفرة الإلهية.
- على الإنسان الإصرار على التوبة، فإنّه باب من أبواب قبول توبته، والحذر من الوقوع في اليأس من رحمة الله.

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦ ص ٣٦,

١٠- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٣ ص ٢٦٣٢,

١١- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٤ ص ٢٣٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أسئلة حول الدرس

١- ما هو التسويف؟ وكيف يقع الإنسان فيه؟
٢- كيف يمكن لتذكر الأجل أن يقضي على حالة التسويف؟
٣- ما هو المراد من قوله تعالى: (ثم يتوبون من قريب)؟
٤- لماذا كان اليأس من رحمة الله مؤديا للهلاك؟

للمطالعة

يا نفس: ألا تستحين من التوبيخ والتعنيف، على طول التسويف، والذي يدعوك إلى التسويف اليوم هو معك غدا، وإنما تزدادين بطول المدة ردى، وكلما فعلت حوبة، وعدتِ نفسك التوبة، وتقولين: إن شبت تبت، أو عمرت أنبت، ويرى جهلك أن الانسان، يستبعد الموت مع الشبان، وهذا جهل منك أيها النفس القرونة، والأمر بالعكس يا مسكينة، لأن الموت في الشباب أكثر، وفي الشيوخ أنزر يا نفس: ومثاله: لو عددت مشايخ بلدتك، وشيب قريتك، لكانوا أقل من عشرة رجال، وتجدين الشبان والأطفال أكثر منهم على كل حال، فإلى أن يموت شيخَ يموت ألف من الأطفال والشبان، والغلمان والصبيان، على أن الموت ليس له وقت مخصوص، ولا عليه آن منصوص، بعيد أو قريب، في شباب أو شيب، في شتاء أو صيف، أو ربيع أو خريف، فإذا جهلك بموتك وحب الدنيا، دعياك إلى طول الأمل واتباع الهوى. يا نفس: مثل أهل الدنيا واشتغالهم بأشغالها، ونسيانهم للآخرة وإهمالها، كمثل قوم ركبوا

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

السفينة في البحر للتجارة، فعدلوا إلى جزيرة لأجل الطهارة، والملاح يناديهم: إياكم وطول المكث، ودوام اللبث، فمن اشتغل منكم بغير الوضوء والصلاة فاتته سفينة النجاة، فالعقلاء منهم لم يمكثوا، وشرعوا في الوضوء والصلاة ولم يلبثوا، فوجدوا الأمن والعافية، وأماكن السفينة خالية، فجلسوا في أطهر الأماكن وأوفقها، وأطيب المواضع وأرفقها[١٢].

١٢- محاسبة النفس الشيخ إبراهيم الكفعمي ص ١٧٤-١٧٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الثالث

حقيقة الاسلام ومراتبه

"فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيما"[1].

قصة الآية

نزلت في الزبير ورجل من الأنصار تخاصما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سراح من الحرة كانا يسقيان منه نخلا لهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله إن كان ابن عمتك؟ ! فتلون وجه رسول الله حتى عرف أن قد ساءه، ثم قال يا زبير احبس الماء إلى الجدد أو إلى الكعبين، ثم خل سبيل الماء، فنزلت الآية[2].

حقيقة الإسلام

لا شك في أن الكثير منا يفتخر بأنه من المسلمين ويشكر الله على نعمة الهداية إلى الإسلام، ولكن هل تأملنا في حقيقة الإسلام الذي نؤمن به؟ إنّ حقيقة الإسلام

١- النساء: ٦٥١-

٢- التبيان الشيخ الطوسي ج ٣ ص ٢٤٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

على ما ورد في الروايات هو أن يخضع الإنسان خضوعا تاما لهذا الدين في كل ما يتعلق به من قريب أو بعيد، دون رفض لشيء ورضا بشيء آخر، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: وأما معنى صفة الإسلام فهو الإقرار بجميع الطاعة الظاهر الحكم والأداء له، فإذا أقر المقر بجميع الطاعة في الظاهر من غير العقد عليه بالقلوب فقد استحق اسم الإسلام ومعناه، واستوجب الولاية الظاهرة، وإجازة شهادته، والمواريث، وصار له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين[٣].

إذا الإسلام ليس قولا باللسان، كما أنه ليس بالقلب فقط كما يسعى بعض الناس لتصوير ذلك بترديده لكلمة (المهم ما في القلب)، لأن الإسلام القلبي الذي لا يلحقه العمل لا يكون إسلاما حقيقيا وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل[٤].

فإسلام الانسان له تعالى هو وصف الانقياد والقبول منه لما يرد عليه من الله سبحانه من حكم تكويني، من قدر وقضاء، أو تشريعي من أمر أو نهى أو غير ذلك[٥].

فالمسلم الحقيقي الذي يحق له أن يفتخر بإسلامه هو الذي يخضع في حياته كلها لهذا الدين، سواء في علاقته مع الله عز وجل، أو في علاقته مع سائر الناس ولذا ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[٦]. وفي رواية أخرى: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يشتمه[٧]. وفي رواية ثالثة: المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله[٨].

٣- تحف العقول ابن شعبة الحراني ص ,٣٢٩

٤- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٥ ص ,٣٠٩

٥- تفسير الميزان السيد الطباطبائي ج ١ ص ,٣٠١

٦- مكارم الأخلاق الشيخ الطبرسي ص ,٤٣٨

٧- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ,١٣٤٠

٨- المصدر نفسه.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

مراتب الإسلام

انطلاقا من كون الإسلام هو الخضوع والانقياد التام لله عز وجل، والشامل للأمور كافة من تكوينية وتشريعية، فإنّ هذا الإسلام له مراتب:

المرتبة الأولى: من مراتب الإسلام، القبول لظواهر الأوامر والنواهي بتلقي الشهادتين لسانا، سواء وافقه القلب، أو خالفه، قال تعالى: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ"[٩].

المرتبة الثانية: التسليم والانقياد القلبي للاعتقادات الحقة التفصيلية وما يتبعها من الأعمال الصالحة، قال الله تعالى في وصف المتقين: "الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ"[١٠] وقال أيضا: "يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً"[١١]، فمن الإسلام ما يتأخر عن الايمان محققا فهو غير المرتبة الأولى من الإسلام. قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ"[١٢]، وقال أيضا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ"[١٣].

المرتبة الثالثة: هي المرتبة التي يصل فيها الإنسان إلى مرحلة تنقاد فيها سائر القوى البهيمية والسبعية، وبالجملة القوى المائلة إلى هوسات الدنيا وزخارفها الفانية الداثرة، وصار الانسان يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله

٩- الحجرات:١٤

١٠- الزخرف:٦٩

١١- البقرة:٢٠٨

١٢- الحجرات:١٥

١٣- الصف:١٠-١١

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

يراه، ولم يجد في باطنه وسره ما لا ينقاد إلى أمره ونهيه أو يسخط من قضائه وقدره.

المرتبة الرابعة: التسليم بأنّ الله له حقيقة الملك الذي لا استقلال دونه لشيء من الأشياء لا ذاتا ولا صفة، ولا فعلا على ما يليق بكبريائه جلت كبريائه. فالانسان وهو في المرتبة السابقة من التسليم ربما أخذته العناية الربانية فأشهدت له أن الملك لله وحده لا يملك شيء سواه لنفسه شيئا إلا به لا رب سواه، وهذا إفاضة إلهية لا تأثير لإرادة الانسان فيه، ولعل قوله تعالى: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّة مُّسْلِمَة لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[١٤]. إشارة الى هذه المرتبة من الاسلام.

التسليم والطاعة لأمر رسول الله وخلفائه

كما يكون الإسلام الحقيقي أيضا بالانقياد والتسليم التام لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكمه في الأمور كافة، سواء كان ذلك في موارد الخصومة والنزاع والاختلاف، أو في الأمور العامة من الحرب والقتال والصلح ومقاطعة الكفار وغير ذلك.

ومن الطاعة للرسول الطاعة لخلفائه وهم الأئمة المعصومون المنصبون من قبله ولاة على هذه الأمة ولهم ما لرسول الله من منصب الولاية والطاعة.

ويأتي من بعدهم الفقهاء المنصبون من قبل الإمام الحجة ولاة على الناس فيجب التسليم لهم والانقياد لهم في الطاعة والالتزام.

كيفية التسليم

أما كيفية التسليم في هذه الأمور فهي تكون باعتماد الخطوات التالية:

١- التحاكم إليهم لا إلى غيرهم، فإذا وقع النزاع أو الخصام فالتحاكم ينبغي أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام من بعده ثم الفقهاء المنصبون من قبل

١٤- البقرة:١٢٨

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الأئمة، لا إلى حكام الجور ودول الكفر. وذلك لعدم إمكان الاجتماع بين الكفر بالطاغوت والتحاكم إليه، قال تعالى: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلا بَعِيدا"[١٥].

٢- أن لا يشعروا بأي انزعاج أو حرج في نفوسهم تجاه أحكام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأقضيته العادلة التي هي في الحقيقة نفس الأوامر الإلهية، ولا يسيئوا الظن بهذه الأحكام.

٣- أن يطبقوا تلك الأحكام في مرحلة تنفيذها تطبيقا كاملا ويسلموا أمام الحق تسليما مطلقا[١٦]. فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية أنه قال: (لو أن قوما عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيءٍ صنعه الله وصنع رسوله صلى الله عليه وآله وسلم لم صنع هكذا وكذا، ولو صنع خلاف الذي صنع، أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين، ثم تلا هذه الآية (الحاضرة) ثم قال عليه السلام: عليكم بالتسليم)[١٧].

خلاصة الدرس

- حقيقة الإسلام هو الخضوع التام لأحكام الدين وتعاليمه، والإسلام الحقيقي هو الإسلام الذي يأتي فيه بعد الاعتقاد العمل.

١٥- النساء: ٦٠

١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ مكارم الشيرازي، ج ٣، ص ٣١٠,

١٧- الكافي الشيخ الكليني ج ١ ص ٣٩٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

– مراتب الإسلام أربعة: ١– القبول بظواهر الأوامر والنواهي. ٢– التسليم والانقياد القلبي.
– الانقياد التام بكافة الجوارح والجوانح. ٤– الاعتقاد بأن المالك الوحيد الحقيقي في هذا الكون هو الله عز وجل.
– من الإسلام التسليم لرسول الله وللأئمة من ولده ثم للفقهاء المنصبون من قبل الإمام الحجة | .
– التسليم لهؤلاء يكون بالتحاكم إليهم لا إلى غيرهم، والانقياد القلبي لحكمهم وقضائهم، وتطبيق الأحكام الصادرة عنهم.

أسئلة حول الدرس

١– ما هي حقيقة الإسلام؟ ومن هو المسلم الحقيقي؟
٢– ما هي مراتب الإسلام؟
٣– كيف يكون التسليم للرسول والائمة والفقهاء؟
٤– لماذا لا يجتمع التسليم مع التحاكم إلى الطاغوت؟

للمطالعة

روح الإسلام التسليم أمام الله. لا شك أن استقلال الإنسان الفكري والروحي لا يسمح له أن يستسلم لأحد بدون قيد أو شرط، لأنه إنسان مثله، ومن الممكن أن تكون له أخطاء واشتباهات في المسائل. أما إذا انتهت المسألة إلى الله العالم والحكيم، والنبي الذي يتحدث عنه ويسير بأمره، فإن عدم التسليم المطلق دليل

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

على الضلال والانحراف، حيث لا يوجد أدنى اشتباه في أوامره سبحانه. إضافة إلى أن أمره حافظ لمنافع الإنسان نفسه، ولا يعود شيء على ذاته المقدسة، فهل يوجد إنسان عاقل يسحق مصالحه برجله بعد تشخيص هذه الحقيقة؟ ومضافا إلى ذلك فإننا منه تعالى، وكل ما لدينا منه، ولا يمكن أن يكون لنا أمر وقرار إلا التسليم لإرادته وأمره، ولذلك ترى بين دفتي القرآن آيات كثيرة تشير إلى هذه المسألة: فمرة تقول آية: "إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". وتقول أخرى:"فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيما". ويقول القرآن في موضع آخر: "وَمَنْ أَحْسَنُ دِينا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ". إن "الإسلام" أخذ من مادة " التسليم"، وهو يشير إلى هذه الحقيقة، وبناء على هذا فإن كل إنسان يتمتع بروح الإسلام بمقدار تسليمه لله سبحانه. ينقسم الناس عدة أقسام من هذه الناحية: فقسم يسلمون لأمر الله في الموارد التي تنفعهم فقط، وهؤلاء في الحقيقة مشركون انتحلوا اسم الإسلام، وعملهم تجزئة لأحكام الله تعالى، فهم مصداق نؤمن ببعض ونكفر ببعض فإيمانهم في الحقيقة إيمان بمصالحهم لا بالله تعالى. وآخرون جعلوا إرادتهم تبعا لإرادة الله، وإذا تعارضت منافعهم الزائلة مع أمر الله سبحانه، فإنهم يغضون الطرف عنها ويسلمون لأمر الله، وهؤلاء هم المؤمنون والمسلمون الحقيقيون. والقسم الثالث أسمى من هؤلاء، فهم لا يريدون إلا ما أراد الله، وليس في قلوبهم إلا ما يشاؤه سبحانه، فقد بلغوا مرتبة من التسامي لا يحبون معها إلا ما يحبه الله، ولا يبغضون إلا ما أبغضه الله عز وجل. هؤلاء هم الخاصة والمخلصون والمقربون لديه، فقد صبغ التوحيد كل وجودهم، وغرقوا في حبه، وفنوا في جماله[١٨].

١٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١٣ ص ٢٦٦ – ٢٦٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الرابع

بلاء النعمة

"وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ"[1].

قصة الآيات

إن ثعلبة بن حاطب وهو من الأنصار قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ادع الله أن يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ولكن ثعلبة أصر على النبي في أن يدعو له وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهدا قال فيه: يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالا فوالذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقّه. فدعا له: اللهم ارزقه مالا، اللهم ارزق ثعلبة مالا.

فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة، فتنحى عن المنزل فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويترك ما سواهما، ثم

١- التوبة:٧٥-٧٦

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

نمت فكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة، وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة، وطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة، وأخبروه بأمره فقال: يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة، قال: وانزل الله تبارك وتعالى: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وانزل الله عليه فرائض الصدقة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلين على الصدقة، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة، وأمرهما ان يخرجا فيأخذا الصدقة، وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما، فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة، وأقرأه كتاب رسول الله فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذه؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي.

فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة، فقال: أروني كتابكما فنظر فيه فقال: ما هذا إلا اخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة ما فعل ثعلبة؟ فأخبراه بالذي صنع ثعلبة، فانزل الله فيه الآية المذكورة وعند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فانطلق حتى اتى ثعلبة فقال: قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: إنَّ الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقبل منه شيئا.

والذي يظهر من سبب النزول المذكور ومن مضمون الآيات أن هذا الشخص لم يكن من المنافقين في بداية الأمر، لكنه لهذه الأعمال سار في ركابهم[٢].

الدروس المستفادة من القصة

١- الابتلاء يكون في الغنى كما يكون في الفقر

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص ١٣٣، بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٢٢ ص ٤٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

يظن الكثير من الناس أن الابتلاء لا يكون إلا بالمشقات والفقر، مع أن القرآن الكريم نصّ على أن الابتلاء كما يكون بالشر قد يكون بالخير "وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً"[٣].

فالله عز وجل واختبارا منه لهذا الإنسان كما يختبره في الشدائد والمكاره يختبره بالرخاء والنعم، لينظر إلى أن هذا الإنسان هل يبقى عارفا بالله عز وجل وفضله أو يصل إلى الإنكار وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: "نَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً... ": فالخير الصحة والغنى، والشر المرض والفقر، ابتلاء واختبارا[٤].

ومن هنا ينبغي على أهل الغنى أن يعيشوا الحذر دائما من الغفلة عن الله وقد ورد في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا رأيت ربك يوالي عليك البلاء فاشكره، إذا رأيت ربك يتابع عليك النعم فاحذره[٥].

وهذه النعم تبدأ بالازدياد كلما ابتدأ الإنسان بالابتعاد عن الله عز وجل شيئا فشيئا، وهذا ما نشهده في قصة ثعلبة فإذا به يتخلّف عن حضور صلاة الجماعة، فزاد رزقه، فإذا به يتخلّف عن صلاة الجمعة وهكذا. وقد ورد في الرواية بيان هذه الحالة فعن الإمام الصادق عليه السلام: إذا أراد الله عز وجل بعبد خيرا فأذنب ذنبا تبعه بنقمة ويذكره الاستغفار، وإذا أراد الله عز وجل بعبد شرا فأذنب ذنبا تبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى به، وهو قول الله عز وجل:"سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ"[٦] بالنعم عند المعاصي[٧].

٢- الإيمان المستعار

فالإنسان قد يكون عارفا بحق الله عز وجل مؤديا له أيام الشدة والمحنة ولكنه

٣- الانبياء:٣٥

٤- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٨١ ص ٢٠٩,

٥- غرر الحكم: ٤٠٨٣,

٦- الاعراف:١٨٢

٧- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٤ ص ٢٢٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

في أيام الرخاء والدعة ينسى الله ويقصّر في حق الله عز وجل وهذا معنى كون الرخاء من البلاء وقد ورد في رواية أخرى عن أمير المؤمنين عليه السلام: في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة[٨].

وقد يعيش الإنسان حالة من الإيمان ولكنه لفقره لم يُبتل بالتكاليف ولكن إيمانه الحقيقي يظهر عندما يمتلك المال وتأتي التكاليف الإلهية تأمره ببذل المال فيكتشف أن إيمانه مجرد لقلقة لسان وأنه إيمان مستعار غير حقيقي، بل الإيمان الحقيقي هو الذي يقترن بالعمل الصالح، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه[٩].

٣- مضارّ الطمع بالمال

المال، هو أكبر حبائل إبليس التي يضعها أمام الإنسان ليوقعه في شراكه، ولا مشكلة في أن يطلب الإنسان المال ولا في أن يسعى لاكتسابه، بل حث الإسلام على طلب الرزق والاستغناء عمّا في أيدي الناس، ولكن الفتنة في أن يحرص الإنسان على المال وأن يمتلكه هذا المال بمعنى أن يصبح هو المعيار في القبول والرفض والفرح والسرور فقد ورد في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: لا تفرح بالغناء والرخاء، ولا تغتم بالفقر والبلاء[١٠].

ومن الابتلاءات الإلهية على أصحاب النعم والأموال هي التكاليف التي أمرهم الله عز وجل من خلالها بإخراج شيء من أموالهم مما يعرف بالحقوق، من خمس وزكاة وصدقة وقد ورد وصف هذه التكاليف بالابتلاءات في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ما بلى الله العباد بشيء أشدّ عليهم من إخراج الدرهم[١١].

وهذا ما ابتلى الله به ثعلبة بن حاطب الأنصاري، فقد جاءه الأمر بإخراج حق

٨- بحار الأنوار- العلامة المجلسي ج ٧٧ ص ٢٨٦,

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٦ ص ٦٦,

١٠- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٣٠٢,

١١- وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي ج ٩ ص ١٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الله من ماله ولكن طمعه بالمال أدّى به إلى أن يرفض الأداء بل يعتبر ذلك نوعا من الفرض بالقوة ونوعا من المذلّة والانتقام. وهذا ما قد نجد له مصاديق في زماننا من يتمسك بالحجج الواهية لرفض إخراج ما فرض الله عز وجل عليه في ماله.

٤- الآثار التكوينية للمعصية

تتحدث الآيات الكريمة عن بعض الآثار التكوينية التي تترتب على التخلّف عن أداء التكاليف ومن هذه الآثار هو ما عبّرت عنه الآية الكريمة بالنفاق إلى يوم القيامة.

إن العلاقة بين الكثير من الذنوب والصفات السيئة، بل وحتى بين الكفر والنفاق، هي نسبة وعلاقة العلة والمعلول، لأن الجملة الآنفة الذكر تبين وتقول بصراحة: إن سبب النفاق الذي نبت في قلوبهم وحرفهم عن الجادة هو بخلهم ونقضهم لعهودهم، وكذلك الذنوب والمخالفات الأخرى التي ارتكبوها، ولهذا فإننا نقرأ إن الكبائر في بعض الأحيان تكون سببا في أن يموت الإنسان وهو غير مؤمن، إذ ينسلخ منه روح الإيمان بسببها[١٢].

فعن الإمام الصادق عليه السلام: إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم[١٣]...

بل إن بقاء النعمة واستمرارها يتوقف على الطاعة وعدم معصية الله فقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنه كان يقول: إن الله قضى قضاء حتما ألا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد ذنبا يستحق بذلك النقمة[١٤].

١٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص ١٣٥,

١٣- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٧٢.

١٤- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٧٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

خلاصة الدرس

– إن الابتلاء الإلهي للإنسان كما يكون بالفقر والحرمان، يكون بوفور النعم، اختبارا للإنسان في أنه يؤدي حق النعمة أو لا.

– وفور النعمة وازديادها مع ارتكاب المعاصي لا يعتبر دليلا على الرضا، لأن الله عز وجل يقول: "سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ".

– الإيمان إذا لم يقترن بالعمل كان إيمانا مستعارا، يزول بتبدل الأحوال.

– التكاليف المالية التي فرضها الله عز وجل هي لاختبار الأغنياء وأصحاب الأموال.

– للمعصية آثار تكوينية ترتب على ارتكابها من زوال النعمة أو زوال الإيمان.

أسئلة حول الدرس

١– بما تفسر قوله تعالى: ونبلوكم بالخير والشر فتنة؟

٢– ما هو الإيمان المستعار، أشرح ذلك بمثال؟

٣– كيف تفسير كون التكاليف المالية من الابتلاءات الإلهية؟

٤– فسّر قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل "اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس النعم".

للمطالعة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل فرض الزكاة كما فرض الصلاة

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

ولو أن رجلا حمل الزكاة فأعطاها علانية لم يكن عليه في ذلك عيب وذلك أن الله عز وجل فرض في أموال الأغنياء للفقراء مما يكتفون به ولو علم أن الذي فرض لهم لا يكفيهم لزادهم وإنما يؤتي الفقراء فيما أوتوا من منع من منعهم حقوقهم لا من الفريضة.

وعن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله أن علة الزكاة من أجل قوت الفقراء وتحصين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى كما قال عز وجل: "لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ"[١٥] في أموالكم إخراج الزكاة وفي أنفسكم توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من أداء شكر نعم الله عز وجل والطمع في الزيادة مع ما فيه من الزيادة والرأفة والرحمة لأهل الضعف والعطف على أهل المسكنة والحث لهم على المساواة وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين وهي عظة لأهل الغنى عبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم ومالهم من الحث في ذلك على الشكر لله تبارك وتعالى لما خولهم وأعطاهم والدعاء والتضرع والخوف أن يصيروا مثلهم في أمور كثيرة في أداء الزكاة والصدقات وصلة الأرحام واصطناع المعروف[١٦].

١٥- آل عمران:١٨٦

١٦- علل الشرائع الشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٦٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الخامس

كتمان السر

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ"[1].

قصة الآية

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بتجهيز أنفسهم لفتح مكة، وكانت هناك امرأة اسمها سارة، تتردد على مكة، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها كتابا إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وكتب في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة إن رسول الله يريدكم فخذوا حذركم.

فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلمبما فعل، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم:انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب

١- الممتحنة:١

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

إلى المشركين فخذوه منها، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان، فقالوا لها أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب، فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا، فهموا بالرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسل سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأضربن عنقك. فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها، فرجعوا بالكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأرسل إلى حاطب فأتاه، فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم، قال: فما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم (أي غريبا) وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئا. فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعذره[٢].

أهمية كتمان السر

لقد حثت التعاليم الإسلامية الإنسان على التحلّي ببعض الصفات الحسنة والعمل على أن تكون سلوكا حياتيا لديه، لما في ذلك من صلاح حياته، ولما تعود به من نفع له في هذه الدنيا. ومن هذه الصفة الاستعانة على قضاء حوائجه والوصول إلى مآربه من خلال كتمان السر، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان[٣].

ولكن لا يقتصر أمر كتمان السر على الأمور الشخصية الخاصّة بل إن ذلك يتناول أيضا المسائل العامة التي ترتبط بالمجتمع وبالأمة التي يعيش فيها الإنسان.

ولذا سوف نتحدث عن كلا الأمرين

أولا: كتمان السر في الأمور العامة

إن من أخطر ما يقع به الإنسان أن يفضح أمرا يتعلّق بالمجتمع الإسلامي عموما،

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١٨ ص ٢٣٥-٢٣٦,

٣- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٦٣٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

وذلك كما في أمور الحرب والقتال، أو في المصالح العامة التي ترتبط بالمسلمين من اقتصاد، ومال وتجارة وغير ذلك.

بل حتّى فيما يرتبط ببعض معارف الدين مما قد يقوم غير المؤمنين بالتشنيع على الإسلام فيه ورد الحث على الكتمان كما في بعض معارف أهل البيت عليهم السلام. فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: كتمان سرنا جهاد في سبيل الله[٤]. وعن الإمام الباقر عليه السلام: والله إن أحب أصحابي إلي أورعهم وأفقههم وأكتمهم لحديثنا[٥].

وما يوقع الإنسان في هذا أحد أمرين:

١- فلتات اللسان (زلّة اللسان):

يعثر الإنسان في حديثه أحيانا فينطق لسانه بأمر يؤدي إلى أن يفضح أمرا ينبغي ستره، فإذا كان ذلك الأمر مما يتعلق بمصالح المسلمين العامة كان الضرر أكبر، وقد ورد الحث على حفظ الإنسان للسانه، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: إن هذا اللسان مفتاح كل خير وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على ذهبه وفضته[٦].

وهذا ما يُطلق عليه الناس تسمية زلّة اللسان، فلا يكون المتكلم قاصدا لأن يفضح أمرا من الأمور، ولكن هذه الزلّة تكون قاتلة أحيانا ولذا ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: زلة اللسان أشد من جرح السنان[٧].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام يبيّن فيها الخطر العظيم لزلات اللسان: المرء يعثر برجله فيبرى، ويعثر بلسانه فيقطع رأسه، إحفظ لسانك فإنَّ الكلمة أسيرة في وثاق الرجل، فان أطلقها صار أسيرا في وثاقها[٨].

٤- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ٧٠,

٥- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٢٣,

٦- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٥ ص ١٧٨,

٧- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٤ ص ٢٧٧٩,

٨- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٨ ص ٢٩٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

والأمر يتجاوز مجرد ما يقع في الدنيا إلى المسؤولية والعقوبة في الآخرة ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام: يحشر العبد يوم القيامة وما ندى دما فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب، إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دما؟ فيقول: بلى، سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فرويتها عليه، فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه[٩].

ويفسّر الإمام الصادق عليه السلام الآية الكريمة: "ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ"[١٠] يقول: والله ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فاخذوا عليها فقتلوا[١١].

٢- المودّة مع أعداء الدين:

إنّ ممّا حذّر منه الإسلام بشدّة مما يُوقع الإنسان في إفشائه لسر يتعلّق بالمسلمين أن تكون له مودّة مع أحد من أعداء الدين، لمصالح تتعلق به وترتبط مع ذلك العدو الذي يكيد بالمسلمين، وهذا هو الذي وقع فيه حاطب بن أبي بلتعة. وتؤكد الآية الكريمة أن هذه المودّة لن تكون إلا من طرف واحد، وإلا فإنّ هؤلاء لن يظهروا لكم المودّة إطلاقا.

عن الإمام علي عليه السلام: "إياك أن تحب أعداء الله، أو تصفي ودك لغير أولياء الله، فإن من أحب قوما حشر معهم"[١٢].

ثانيا: كتمان السر في الأمور الخاصّة

كما ينبغي للمرء أن يسعى ليكتم سرّه في الأمور الخاصة، ويترتب على ذلك فوائد عديدة أشارت إليها الروايات:

٩- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٧٠,

١٠- البقرة:٦١

١١- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٧١,

١٢- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٤٩٧.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أ- ان يملك الإنسان أمره:

فإذا نوى الإنسان أمرا وأبقاه سرا عند نفسه أمكن له أن يعدل في رأيه أو أن يسعى به دون أن يعيقه أحد، فعن الإمام علي عليه السلام: من كتم سره كانت الخيرة في يده[١٣]،وعنه عليه السلام: سرك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره[١٤].

ب- أن ينجح الإنسان في أمره:

الحياة بطبعها ساحة للتنافس، يسعى كل إنسان لينال منها، ومن الطبيعي أن يغتنم كل فرصة تمر أمامه، فإذا كان أمامك فرصة تنال فيها خيرا فاستعن على الوصول إلى ذلك بالكتمان فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: أنجح الأمور ما أحاط به الكتمان[١٥]، وعن الإمام الجواد عليه السلام: إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له[١٦].

ج- الحذر من الخيانة:

إذا أودعت سرك عند غيرك قد يخونك فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون[١٧].

والخيانة قد تصدر حتّى من شخص صديق لك، ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: لا تطلع صديقك من سرك إلا على ما لو اطلعت عليه عدوك لم يضرك، فإن الصديق قد يكون عدوا يوما ما[١٨].

١٣- نهج البلاغة- الإمام علي – الحكمة رقم ,١٦٢

١٤- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ,١٢٨٢

١٥- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ,١٢٨٢

١٦- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ,٧١

١٧- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ,٣٢٧

١٨- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٢٨٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

خلاصة الدرس

- كتمان السر سبب لقضاء الحوائج، والوصول إلى الغايات سواء فيما يتعلق بالفرد أو بالمجتمع.
- يجب على الإنسان حفظ الأسرار العامة التي ترتبط بمصالح المجتمع الإسلامي.
- الأسباب التي توجب إفشاء السر إما زلات اللسان، فعلى الإنسان حفظ لسانه، أو المودة للمشركين فعلى الإنسان أن يبرأ منهم.
- لكتمان السر في الأمور الشخصية فوائد عديدة: بأن يملك الإنسان أمره، وينجح فيه، ويحذر من الخيانة.

أسئلة حول الدرس

١- كيف تفسّر قول الإمام الصادق عليه السلام: كتمان سرنا جهاد في سبيل الله؟
٢- ما هي أعظم مخاطر زلة اللسان؟
٣- كيف يضمن الإنسان النجاح في عمله؟
٤- لماذا وردت النصيحة من الإمام علي عليه السلام بكتمان السر حتى عن الصديق؟

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

للمطالعة

إفشاء السر: وإذاعته، وهو أعم من كشف العيب، إذ السر قد يكون عيبا وقد لا يكون بعيب، ولكن في إفشائه إيذاء وإهانة بحق الأصدقاء أو غيرهم من المسلمين، وهو من رذائل قوة الغضب إن كان منشأه العداوة، ومن رذائل قوة الشهوة إن كان منشأه تصور نفع مالي، أو مجرد اهتزاز النفس بذلك لخباثتها، وهو مذموم منهي عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت، فهي أمانة" وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "الحديث بينكم أمانة". وورد: "إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك". وقال عبد الله بن سنان للصادق عليه السلام: " عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ فقال: نعم ! قلت: يعني سفلته؟ قال: ليس حيث تذهب، إنما هو إذاعة سره ".

كتمان السر: ضد إفشاء السر كتمانه، وهو من الأفعال المحمودة، وقد أمر به في الأخبار. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "طوبى لعبد نومة، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم تتجلى عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر، ولا الجفاة المرائين". وقال أمير المؤمنين عليه السلام: "قولوا الخير تعرفوا به، واعملوا الخير تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلا مذاييع. فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله، وشراركم المشاؤن بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعايب"[١٩].

١٩- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٢٨٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس السادس

الخيانة

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ *يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[1].

قصة الآيات

ورد في الرواية عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في بيان سبب نزول الآية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بنى النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحات من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لأنَّ عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فقالوا: ما ترى يا أبا لبابة؟ أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح

١- الانفال:٢٩

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

فلا تفعلوا فأتاه جبرائيل فأخبره بذلك. قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه فلما نزلت شدَّ نفسه على سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه وحله بيده. ثم قال أبو لبابة: ان من تمام توبتي إنَّ أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يجزيك الثلث ان تصدق به[٢].

أنواع الأمانات وكيف تكون الخيانة

النوع الأول: من الأمانة ما هي أمانة الله سبحانه عند الناس كأحكامه المشرعة من عنده.

النوع الثاني: منها ما هي أمانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهي عبارة عن السنن التي أمر بها وسيرته في حياته العملية.

وأما خيانة هذين النوعين فتتحقق بمعصية الله عز وجل وبالتخلف عن العمل على سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد ورد في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: خيانة الله والرسول معصيتهما[٣].

وفي رواية أخرى عن الإمام علي عليه السلام: لكنه سبحانه جعل حقَّه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه[٤].

فإذا كان الطاعة لله عز وجل هي من حقوق الله، فالمعصية خيانة لهذا

٢- تفسير الميزان السيد الطباطبائي ج ٩ ص ٦٤,

٣- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٢٢ ص ٦٧,

٤- الكافي الشيخ الكليني ج ٨ ص ٣٥٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الحق.

النوع الثالث: ما هي أمانة الناس بعضهم عند بعض كالأمانات من أموالهم أو أسرارهم.

النوع الرابع: منها ما يشترك فيه الله ورسوله والمؤمنون، وهى الأمور التي أمر بها الله سبحانه وأجراها الرسول وينتفع بها الناس ويقوم بها صلب مجتمعهم كالأسرار السياسية والمقاصد الحربية التي تضيع بإفشائها آمال الدين وتضل بإذاعتها مساعي الحكومة الإسلامية فيبطل به حق الله ورسوله ويعود ضرره إلى عامة المؤمنين.

فهذا النوع من الأمانة خيانته خيانة لله ورسوله وللمؤمنين فالخائن بهذه الخيانة من المؤمنين يخون الله والرسول وهو يعلم أن هذه الأمانة التي يخونها أمانة لنفسه ولسائر إخوانه المؤمنين وهو يخون أمانة نفسه، ولن يقدم عاقل على الخيانة لأمانة نفسه[٥].

ومن هنا تكون المسؤولية عظيمة على من يتولى أمور الناس وأمور المسلمين مهما كانت المسؤولية التي يتولاها صغيرة أو محدودة.

فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته[٦].

من مصاديق الخيانة

١- خيانة العهد والميثاق:

من أنواع الخيانات التي تعم بها البلوى بين الناس خيانة العهد والميثاق، وهذا العهد إما أن يكون مع الله عز وجل، كما لو عاهد الله على أن يترك أمرا أو يقوم بأمر ولكنه تخلّف عن ذلك، فإن الوفاء بالعهد لازم والنكث به خيانة. بل من أعظم الخيانة هو أن ينقض الإنسان عهد الطاعة هذا لله عز وجل فيطيع الشيطان، قال تعالى: "

٥- تفسير الميزان السيد الطباطبائي ج ٩ ص ٥٥,

٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٢١٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ"[٧].

وإما أن يكون مع سائر الناس سواء كانوا مؤمنين أو كافرين، وسواء كان على مستوى شخصي فردي أو على مستوى طائفة من الناس وفرقة منهم وقد ورد في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر قال: وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود[٨].

٢- خيانة الأمانات المادية:

مما أكدّت عليه التعاليم الإسلامية الحرص على أداء الأمانة التي يحملها الإنسان من مال غيره، فعن الإمام الصادق عليه السلام: يجبل المؤمن على كل طبيعة إلا الخيانة والكذب[٩].

بل وحذرت الروايات من الآثار الدنيوية لخيانة الأمانة المادية فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: لو أن أحدكم هرب من رزقه لتبعه حتى يدركه كما أنه إن هرب من أجله تبعه حتى يدركه، من خان خيانة حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها[١٠].

ومظاهر خيانة الأمانات التي يأتمنك الناس عليها كثيرة فقد يضع أحدهم معك مالا لتتجر له به على أن يكون الربح بينك وبينه، فتقوم بعدم إعطائه الربح كاملا، بل تنتقص منه وتحتال لذلك بشتى الوسائل والطرق، وهذا نوع من أنواع الخيانة.

٣- خيانة الحقوق:

٧-يس:٦٠

٨- نهج البلاغة، عهد الإمام لمالك الأشتر.

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ١٧٢,

١٠- الكافي الشيخ الكليني ج ٥ ص ٣٠٤.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

مما ورد في الروايات وصفه بأنّه من الخيانة التقصير في أداء الحقوق، ولكي نوضح صورة الخيانة في هذا المجال لنلحظ العناوين التالية:

عدم كتمان السر

قد يضع أحد إخوانك سره عندك، فخيانته تكون بإفشائه بين الناس، مهما كان هذا السرّ صغيرا، بل حتّى لو أخبرك بأمر ولم يطلب منك أن تخفيه ولكنك كنت تعلم أنه يكره إظهاره فقد ورد في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: المجالس بالأمانة، وإفشاء سر أخيك خيانة، فاجتنب ذلك[١١].

التقصير في أداء حق أخيك

إذا انعقدت الأخوة بين المؤمنين فلا بد من الوفاء بهذا العقد، وكل ما يكون تقصيرا في أداء حق الأخوة يكون نوعا من الخيانة.

فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: أيّما رجل من أصحابنا استعان به رجل من إخوانه في حاجة فلم يبالغ فيها بكل جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين[١٢].

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام لأبي هارون المكفوف: يا أبا هارون، إن الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يجاوره خائن، قال: قلت: وما الخائن؟ قال: من ادخر عن مؤمن درهما أو حبس عنه شيئا من أمر الدنيا[١٣].

عدم النصيحة للمستشير

قد يلجأ أحدهم إليك ليسألك عن أمر من الأمور، ويطلب منك أن تنصحه وترشده إلى ما فيه الخير له، وهو يأمل منك أن تكون دليلا له ينقذه من الوقوع في الهلكات، ولكنك لا تخلص له النصيحة أو ترشده إلى غير ما فيه خيره وصلاحه، وهذا من

١١- مكارم الأخلاق الشيخ الطبرسي ص ,٤٧٠

١٢- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ,١٧٥

١٣- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ١٧٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

مصاديق الخيانة فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: خيانة المستسلم والمستشير من أفظع الأمور، وأعظم الشرور، وموجب عذاب السعير[١٤].

خلاصة الدرس

– أمانة الله عز وجل عبارة عن الالتزام بأحكامه، وأمانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الالتزام بسنّته، وأمانة المؤمنين من الأموال والأسرار، وأمانة المجتمع المسلم فيما يرتبط بمصالحهم.
– من مصاديق الخيانة: أ– خيانة العهد والميثاق سواء كان العهد مع الله عز وجل أو مع الناس. ب – خيانة الأمانات المادية التي يودعها الإنسان عند الآخرين. ج – خيانة الحقوق.
– من خيانة الحقوق: عدم كتمان السر، التقصير في أداء حق الأخ، عدم النصيحة للمستشر.

أسئلة حول الدرس

١– كيف تتحق خيانة المجتمع المسلم؟
٢– لم كانت طاعة الشيطان خيانة للعهد الإلهي؟
٣– بين كيف يكون التقصير في حق الأخ خيانة.
٤– بين كيف يصدق على عدم النصح للمستشير الخيانة.

١٤– ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٥٢٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

للمطالعة

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة[١٥].

ولو أن أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسهم عنا إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل[١٦].

١٥- من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق ج ٢ ص ٥٧٧,

١٦- الاحتجاج الشيخ الطبرسي ج ٢ ص ٣٢٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس السابع

المفاخرة بالايمان

"أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ"[1].

قصة الآيات

ورد في بيان سبب النزول أنه بينما شيبة والعباس يتفاخران، إذا مر بهما علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: بماذا تتفاخران؟ فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤت أحد: سقاية الحاج. وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام. فقال علي عليه السلام، استحييت لكما، فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا! فقالا: وما أوتيت يا علي؟ قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله! فقام العباس مغضبا يجر ذيله حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: أما ترى إلى ما يستقبلني به

١- التوبة:١٩-٢٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

علي؟ فقال: ادعوا لي عليا، فدعي له، فقال: ما حملك على ما استقبلت به عمك؟ فقال يا رسول الله! صدمته بالحق، فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرض! فنزل جبرائيل عليه السلام، فقال: يا محمد! إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول أتل عليهم: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ..) الآيات. فقال العباس: إنا قد رضينا ثلاث مرات[٢].

ما هو الفخر؟

الفخر هو التباهي وأن يرى الإنسان في نفسه من الصفات ما يجعله أفضل من الآخرين، فيرى لنفسه عليهم درجة وأنه في مقام أعظم من مقامهم.

والفخر هو أول ما أوقَع إبليس في المعصية، حيث افتخر على آدم إذ كان يرى أنه خلق من نار وآدم خلق من طين والنار أفضل وهذا ما حدثّنا به أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: فافتخر على آدم بخلقه، وتعصب عليه لأصله... فلعمرو الله لقد فخر على أصلكم، ووقع في حسبكم، ودفع نسبكم... فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية[٣].

الفخر من الآفات المهلكات

من الصفات السيئة التي على المؤمن أن يتخلّى عنها، هي الحذر من أن يعيش في نفسه حالة من الفخر، يرى فيها أنه أفضل من الآخرين فيفتخر بهم على ذلك، فإنّ هذا يكون من المهلكات التي تودي به إلى جهنم لأنّها تكون سبيلا في تدمير إيمانه، وقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: أهلك الناس اثنان: خوف الفقر، وطلب الفخر[٤].

وذلك لأن الفخر يصل بالإنسان إلى مقام من لا يحبه الله عز وجل بنص الآية

٢- تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي ج ٥ ص ٢٧, ٢٨

٣- نهج البلاغة، الخطبة المعروفة بالقاصعة، الخطبة رقم ١٩٢,

٤- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٩ ص ٣٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"[٥].

بل يصف الله عز وجل هذه الدنيا مستهينا بها بأنها لعب ولهو وتفاخر، قال تعالى:

"اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ"[٦].

أولا: أسباب وقوع الإنسان في الفخر

١ – الرئاسة:

ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: آفة الرياسة الفخر[٧].

فمن يتولّى مسؤولية من المسؤوليات يظن من نفسه أنه أفضل من الآخرين، وأنه ما نال ذلك إلا بفضل ما يملكه من صفات حسنة وميزات أهلّته لهذا المنصب، وهذا خطأ لأن الكثير من أمثاله يستحقون هذا المقام وليس له أن يفتخر على من هو مثله بأنّ وفقه الله لأن يكون في خدمة غيره.

٢ – الضعة:

من الأسباب التي قد تؤدي إلى وقوع الإنسان في الفخر، أن يكون وضيعا، صغير القدر، لا يملك من الصفات ما يجعله على مستوى الناس العاديين، بل هو أقل منهم، ولكنه تعويضا منه عن هذا النقص الذي يعيشه يلجأ إلى الفخر والتفاخر على الآخرين بما يتوهم أنه من الأمور الحسنة.

ورد في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام: الافتخار من صغر الأقدار[٨].

٣ – الحمق:

الحمق هو أن يرى الإنسان نفسه على صواب وهو يفعل الخطأ، فيرى لنفسه الفضل

٥–لقمان:,١٨

٦–الحديد:,٢٠

٧– ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ,٨٥

٨– جامع أحاديث الشيعة السيد البروجردي ج ١٤ ص ٧٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

وهو لا يملكه، ومن أعظم أسباب الفخر هو الحمق: لا حمق أعظم من الفخر[٩].

٤- الحسب:

كثير من الناس يفتخرون بحسبهم ونسبهم، فيفتخر الواحد بآبائه وأجداده، وهو لا يحمل من الفضل شيئا في نفسه، وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: آفة الحسب الافتخار[١٠].

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، بعد تلاوته (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ): أفبمصارع آبائهم يفخرون! أم بعديد الهلكى يتكاثرون! يرتجعون منهم أجسادا خوت، وحركات سكنت، ولأن يكونوا عبرا أحق من أن يكونوا مفتخرا[١١].

ثانيا: كيف نعالج الفخر؟

ورد في الروايات أن طريق علاج الفخر، أن يعمد الإنسان إلى الرجوع إلى أصله وحقيقته ليرى أنه لا يملك شيئا في هذا الكون بل هو مجرد نطفة ماء عاجزة لولا أن الله أعطاه ما أعطاه مما يملكه من مواهب.

ففي رواية عن الإمام الباقرعليه السلام: عجبا للمختال الفخور! وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يُصنع به[١٢].

وبهذا المضمون رواية أخرى عن الإمام زين العابدين عليه السلام: عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غدا جيفة[١٣].

ثالثا: ما يصح الفخر به

من الفخر ما يكون ممدوحا ومطلوبا، وذلك عندما يفتخر الإنسان بما يحمله من صفات هي بنظر الشارع صفات مرغوبة ومطلوبة ونتعرض لها هنا:

٩- عيون الحكم والمواعظ علي بن محمد الليثي الواسطي ص ٥٣٧,

١٠- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٢٨,

١١- نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢١,

١٢- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٢٩,

١٣- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٢٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

١- العبودية لله عز وجل:

من عظمة مقام العبودية لله أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفتخر به، وها نحن نشهد في الصلاة في كل يوم بقولنا "وأشهد أن محمدا عبده ورسوله".

وورد في مناجاة لأمير المؤمنين عليه السلام قال: إلهي كفى لي عزا أن أكون لك عبدا، وكفى بي فخرا أن تكون لي ربا[١٤].

وإنما كان ذلك لأن الإنسان الذي يصل إلى مقام العبودية فقد وصل إلى الغاية التي خلق لأجلها حيث يقول تعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"[١٥].

٢- الطاعة:

مما يفتخر به المؤمن أن يحمل عقيدة صحيحة هي عقيدة الإيمان بولاية الأئمة من أهل البيت عليهم السلام وقد ألحق بذلك العمل الصالح، أي قرن إيمانه بعمله وهو ما وردت به الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ثلاث هن فخر المؤمن وزينة في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولايته الإمام من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم[١٦].

٣- التقوى:

قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"[١٧].

إذا نال الإنسان مكانة أن يكون أكرم الناس عند الله، فحقّ له أن يفتخر بذلك، لأنه يفتخر بما عند الله وقد ورد في الآية "مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ"[١٨] إذا، يفتخر هو بما هو باق عند الله عز وجل.

٤- الجهاد:

١٤- الخصال الشيخ الصدوق ص ,٤٢٠

١٥- الذاريات:,٥٦

١٦- الكافي الشيخ الكليني ج ٨ ص ,٢٣٤

١٧- الحجرات:١٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

هو من أعظم الفرائض التي كتبها الله على الناس، والتي وردت الروايات ببيان عظم فضل المجاهدين، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خير الناس رجل حبس نفسه في سبيل الله يجاهد أعداءه يلتمس الموت أو القتل في مصافه[١٩].

وورد في نهج البلاغة في كتاب من الإمام علي عليه السلام إلى معاوية: ألا ترى غير مخبر لك ولكن بنعمة الله أحدث أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه. أولا ترى أن قوما قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها آذان السامعين[٢٠]...

خلاصة الدرس

- الفخر هو أن يرى الإنسان لنفسه من الفضل ما يتباهى به على الغير.
- الفخر طريق من طرق تدمير الإيمان ولذا كان من المهلكات.
- من أسباب وقوع الإنسان في حالة الفخر: ١- الرئاسة ٢- الضعة ٣- الحمق ٤- الحسب.
- علاج الفخر بتدبر الإنسان في حقيقة ما يملكه ويرى عجز نفسه.
- ما يصح الفخر به هو: ١- العبودية لله عز وجل ٢- الطاعة ٣- التقوى ٤- الجهاد.

١٨- النحل:٩٦,

١٩- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٤٤٥,

٢٠- نهج البلاغة الكتاب ٢٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أسئلة حول الدرس

١- لماذا كان الفخر من المهلكات؟
٢- اذكر سببا من الأسباب الموجبة للوقع في الفخر شارحا له بالتفصيل؟
٣- لماذا كانت العبودية مما يصح به الفخر؟
٤- هل يصح من الإنسان أن يفتخر بعقيدته الصحيحة؟

للمطالعة

ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ *حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ"[٢١].

"يا له مراما ما أبعده، وزورا ما أغفله، وخطرا ما أفظعه. لقد استخلوا منهم أي مدكر، وتناوشوهم من مكان بعيد أفبمصارع آبائهم يفخرون؟ أم بعديد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجسادا خوت، وحركات سكنت. ولإن يكونوا عبرا أحق من أن يكونوا مفتخرا، ولإن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة. لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة. وضربوا منهم في غمرة جهالة. ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الأرض ضلالا، وذهبتم في أعقابهم جهالا. تطأون في هامهم، وتستثبتون في أجسادهم، وترتعون فيما لفظوا، وتسكنون فيما خربوا، وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم أولئكم سلف غايتكم، وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا وسوقا. سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الأرض

٢١- التكاثر: ١-٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

عليهم فيه، فأكلت من لحومهم وشربت من دمائهم. فأصبحوا في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون، وضمارا لا يوجدون. لا يفزعهم ورود الأهوال، ولا يحزنهم تنكر الأحوال، ولا يحفلون بالرواجف، ولا يأذنون للقواصف. غيبا لا ينتظرون، وشهودا لا يحضرون. وإنما كانوا جميعا فتشتتوا، وآلافا فافترقوا. وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت أخبارهم وصمت ديارهم، ولكنهم سقوا كأسا بدلتهم بالنطق خرسا، وبالسمع صمما، وبالحركات سكونا. فكأنهم في ارتجال الصفة صرعى سبات. جيران لا يتأنسون، وأحباء لا يتزاورون. بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم أسباب الإخاء. فكلهم وحيد وهم جميع. وبجانب الهجر وهم أخلاء. لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء. أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا"[٢٢].

٢٢- نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب الخطبة رقم ٢٢١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الثامن

الرقابة الالهية والرقابة الذاتية

"يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطا * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلا * وَمَن يَعْمَلْ سُوءا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورا رَّحِيما * وَمَن يَكْسِبْ إِثْما فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيما حَكِيما * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْما ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانا وَإِثْما مُّبِينا"[1].

قصة الآيات

أن في قبيلة بني الأبيرق المعروفة نسبيا كان ثلاثة أشقاء هم "بشر" و "بشير" و "مبشر" سطا أحدهم وهو "بشير" على دار أحد المسلمين ويدعى "رفاعة" فسرق سيفه ودرعه وكمية من الغذاء، فأُخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالواقعة. ولكن الأشقاء الثلاثة اتهموا شخصا من المسلمين اسمه "لبيد" الذي كان يسكن في دار واحد معهم، فتألم لبيد ألما شديدا من هذه التهمة الباطلة واستل سيفه وتوجه إلى الأشقاء

١- النساء:١٠٨-١١٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الثلاثة صارخا في وجوههم قائلا: "أتتهمونني أنا بالسرقة وأنتم أجدر بهذا العمل؟ فأنتم هم أولئك المنافقون الذين كنتم تهجون النبي وتنسبون أبيات الهجو إلى قريش، فأما أن تثبتوا ما تنسبونه لي من تهمة، أو أن أهوى بسيفي على رؤسكم ". فلما رأى أخوة السارق ذلك حاولوا استرضاء "لبيد" ولكنهم لما علموا أن القضية قد وصلت إلى أسماع النبي لجأوا إلى أحد متكلمي قبيلتهم فطلبوا منه أن يذهب مع جمع من الناس إلى النبي ويتظاهر بأن الحق إلى جانبهم ليبرئ السارق ويتهم من أخبر النبي بتلفيق التهمة على شقيقهم، وقد قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم استنادا إلى واجب العمل بظاهر الأمور شهادة تلك المجموعة وأنب من جاءه بالخبر على عمله. وقد تألم ذلك الشخص الذي كان يعرف نفسه بريئا... فنزلت الآيتان المذكورتان لتعلنا براءة الرجل، وتؤنبا مرتكبي الخيانة الحقيقيين[٢].

الرقابة الإلهية

إن ما يحتاج إليه أي قانون حتى يثمر ويصل الناس إلى الغرض الرئيسي من إقراره هو الرقابة على من يتخلّف عن القانون لمعاقبته. وعنصر الرقابة هذا في القوانين الموضوعة من قبل البشر يكون ضعيفا، لأن الرقابة تكون بشرية، وهي مما يمكن أن يتم اختراقها من جهات عدّة، فينجو المجرم من العقاب فيها.

ولكن القانون الإلهي المنزل للبشرية يتمتع بالرقابة الإلهية، وهذه الرقابة تملك صفاتا خاصة لا ينالها أي قانون آخر، وتتمثل في:

١- أنها عامة تشمل كل شيء ولذا يصفها الله عز وجل بالتالي: "وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبا"[٣].

٢- أنها لا تحيط بها موانع تعيق قيامها أو تحققها، ونحن نقرأ في دعاء كميل: فأسألك بالقدرة التي قدرتها... أن تهب لي في هذه الليلة وفي هذه الساعة كل جرم أجرمته... وكل سيئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين الذين وكلتهم

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٣ ص ٤٣٦ – ٤٣٧,

٣- الاحزاب:٥٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/ims
+989217854824

بحفظ ما يكون مني وجعلتهم شهودا علي مع جوارحي وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم والشاهد لما خفي عنهم.

٣- تعدد الشهود والرقباء، قال تعالى:"وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاء اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرا مِّمَّا تَعْمَلُونَ"[٤].

الرقابة الذاتية لدى المسلم

مضافا إلى ما تقدّم مما يمتاز به القانون الديني الإسلامي، فإن الإسلام سعى لتقوية عنصر الرقابة الذاتية لدى الإنسان المسلم، وهذا العنصر هو من أقوى ما يمكن أن يشكل ضمانة لعدم اختراق القانون، لأنّ الإنسان الذي لا يمكنه أن يخفي عن نفسه ارتكابه للإثم أو مخالفته للشرع، وإن أمكنه أن يخفي ذلك عن الناس، أو أن ينسى الله عز وجل في لحظة من اللحظات، لن يُقدم على المخالفة وارتكاب الذنب.

في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: اجعل من نفسك على نفسك رقيبا واجعل لآخرتك من دنياك نصيبا[٥].

وعنه عليه السلام: رحم الله عبدا راقب ذنبه وخاف ربه[٦].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: من خلا بذنب فراقب الله تعالى ذكره فيه واستحيى من الحفظة غفر الله عز وجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين[٧].

٤- فصلت:١٩-٢٢,

٥- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١١٠٨,

٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ١٠٥١,

٧- وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي ج ١٥ ص ٢٢١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

وأما كيف تكون المراقبة فيذكر علماء الأخلاق أن ذلك يتحقق بأن يراقب نفسه عند الخوض في الأعمال، فيلاحظها بالعين اللائمة والمعاتبة، فإنها إن تركت طغت وفسدت، ثم يراقب في كل حركة وسكون، بأن يعلم أن الله تعالى مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر، رقيب على أعمال العباد، قائم على كل نفس بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف، كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف.

المراقبة في الطاعة والمعصية

عندما نتحدث عن ضرورة مراقبة النفس، فلا يتوهمن أحد ان المراقبة تعني فقط الحذر من الوقوع في المعاصي والآثام، أي في الذنوب فقط، بل المراقبة ينبغي أن تكون في ثلاثة مواطن:

١- المراقبة في المعصية: بأن يفكّر الإنسان عندما يُقدم على أي فعل من الأفعال، فيحذر من أن يكون في ذلك معصية الله عز وجل. ولو زلت قدمه فوقع في المعصية راقب نفسه فسعى لإظهار الندم والتوبة، وإذا كان لغيره حق عليه أعاد له حقه.

٢- المراقبة في الطاعة: فعندما يأتي بعبادة من العبادة أو طاعة من الطاعات وإن لم تكن عبادة، سعى لأن تكون خالصة لله عز وجل ولأن يقصد بها وجه الله، وأن يحذر من الوقوع بعد الإتيان بها بما يوجب بطلانها، كما لو أحسن على إنسان، ثم ابتدأ بالمنّة عليه وإظهار ما له من الفضل عليه. فإن طاعته تذهب هباء.

قال تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ"[٨].

٨- البقرة:٢٦٤.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

و (المن): أن يرى نفسه محسنا، ومن ثمراتها الظاهرة: الإظهار، والتحدث به، وطلب المكافأة منه، بالشكر والخدمة والتعظيم. و (الأذى): التعيير، والتوبيخ، والاستخفاف، والاستخدام، والقول السيء، وتقطيب الوجه.

والتشبيه الوارد في الآية هو بأن تتصور قطعة حجر صلد تغطيه طبقه خفيفة من التراب، وقد وضعت في هذا التراب بذور سليمة، ثم عرض الجميع للهواء الطلق وأشعة الشمس، فإذا سقط المطر المبارك على هذا التراب لا يفعل شيئا سوى اكتساح التراب والبذور وبعثرتها، ليظهر سطح الحجر بخشونته وصلابته التي لا تنفذ فيها الجذور، وهذا ليس لأن أشعة الشمس والهواء الطلق والمطر كان لها تأثير سيء، بل لأنَّ البذر لم يزرع في المكان المناسب، ظاهر حسن وباطن خشن لا يسمح بالنفوذ إليه. قشرة خارجية من التربة لا تعين على نمو النبات الذي يتطلب الوصول إلى الأعماق لتتغذى الجذور.

٣- المراقبة في المباحات: وذلك من خلال المواظبة على رعاية الآداب الشرعية في المباحات، فإن لكل فعل مباح من الأكل، الشرب، النوم، السفر... إلخ، آدابا خاصة إذا سعى الإنسان للمحافظة عليها تمكن من أن يكون من المراقبين لأنفسهم[٩].

خلاصة الدرس

- كل قانون تتوقف الفائدة المرجوة منه على وجود رقابة تشرف على تطبيق القانون.
- تمتاز الرقابة في القانون الإلهي بميزات لا تجدها في قانون آخر وتتمثل ب-: أ-

---

٩- جامع السعادات محمد مهدي النراقي ج ٣ ص ٧٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أنها عامة وتشمل كل شيء. ب- أنها لا تحيط بها أية موانع. ج- تعدد الشهود والرقباء.

- حث الإسلام على تربية عنصر الرقابة الذاتية لدى المسلم.

- المراقبة على أنواع ثلاثة: أ- المراقبة في المعصية ب- المراقبة في الطاعة، بعدم إبطالها. ج- المراقبة في المباحات، برعاية آداب العمل.

أسئلة حول الدرس

١- لما يتوقف القانون على وجود رقابة على تنفيذه؟

٢- ما هي ميزات الرقابة الإلهية؟

٣- كيف تفسر الرقابة الذاتية في الطاعات؟

٤- كيف تفسر الرقابة الذاتية في المباحات؟

للمطالعة

في الحديث القدسي: (إنّما يسكن جنات عدن، الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني، والذين انحنت أصلابهم من خشيتي، وعزتي وجلالي ! إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب). وحكي: (أن زليخا لما خلت بيوسف عليه السلام، فقامت وغطت وجه صنمها، فقال يوسف عليه السلام: مالك؟ أتستحيين من مراقبة جماد ولا أستحيي من مراقبة الملك الجبار؟ !). وهذه المعرفة أعني معرفة اطلاع

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الله على العباد وأعمالهم وسرائرهم وكونه رقيبا عليهم إذا صارت يقينا أي خلت عن الشك ثم استولت على القلب سخرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرقيب وصرفت الهمة إليه، والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين: إحداهما مراقبة المقربين، وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهي أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة الجلال، ومنكسرا تحت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير، وهذا هو الذي صار همه هما واحدا، وكفاه سائر الهموم، وأخراهما مراقبة الورعين من أصحاب اليمين، وهم قوم غلب عليهم يقين اطلاع الله على ظهورهم وبواطنهم، ولكن لا تدهشهم ملاحظة الجلال والجمال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة للالتفات إلى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها، وغلب عليهم الحياء من الله، فلا يقدمون ولا يجمعون إلا بعد التثبت، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة، فإنهم يرون الله مطلعا عليهم، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة. ثم ينبغي للعبد ألا يغفل عن مراقبة نفسه والتضييق عليها في لحظة من حركاتها وسكناتها وخطراتها وأفعالها[١٠].

١٠- جامع السعادات محمد مهدي النراقي ج ٣ ص ٧٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس التاسع

حصانة المسلمين

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ * مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"[1].

قصة هاتين الآيتين

عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام: وكانت هذه اللفظة: (راعنا) من ألفاظ المسلمين الذين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: راعنا، أي إرع أحوالنا، واسمع منا كما نسمع منك. وكان في لغة اليهود معناها: اسمع. لا سمعت. فلما سمع اليهود، المسلمين يخاطبون بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: راعنا ويخاطبون بها، قالوا: إنا كنا نشتم محمدا إلى الآن سرا، فتعالوا الآن نشتمه جهرا. وكانوا يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون: راعنا، ويريدون شتمه. ففطن لهم سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، أراكم تريدون سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوهمونا أنكم تجرون في مخاطبته مجرانا، والله لا سمعتها من أحد منكم إلا ضربت عنقه،

١- البقرة:١٠٤-١٠٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

ولولا أني أكره أن أقدم عليكم قبل التقدم والاستيذان له ولأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام القيم بأمور الأمة نائبا عنه فيها، لضربت عنق من قد سمعته منكم يقول هذا. فأنزل الله: يا محمد "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنا فِي الدِّينِ... فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلا"[٢]. وأنزل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا"[٣] يعني فإنها لفظة يتوصل بها أعداؤكم من اليهود إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشتمكم. وقولوا: (انظرنا)، أي قولوا بهذه اللفظة، لا بلفظة راعنا، فإنه ليس فيها ما في قولكم: راعنا، ولا يمكنهم أن يتوصلوا بها إلى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا (واسمعوا) إذا قال لكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولا وأطيعوا[٤].

حصانة المسلمين

تتحدث الآيات الكريمة أنّ على المسلمين أن لا يوفروا للأعداء فرصة الطعن بهم، وأن لا يتيحوا لهم بفعل أو قول ذريعة يسيئون بها إلى الجماعة المسلمة. عليهم أن يتجنبوا حتى ترديد عبارة يستغلها العدو لصالحه. الآية تصرح بالنهي عن قول عبارة تمكن الأعداء أن يستثمروا أحد معانيها لتضعيف معنويات المسلمين، وتأمرهم باستعمال كلمة أخرى غير تلك الكلمة القابلة للتحريف ولطعن الأعداء. حين يشدد الإسلام إلى هذا الحد في هذه المسألة البسيطة، فإن تكليف المسلمين في المسائل الكبرى واضح، عليهم في مواقفهم من المسائل العالمية أن يسدوا الطريق أمام طعن الأعداء، وأن لا يفتحوا ثغرة ينفذ منها المفسدون في الداخل او الأعداء من الخارج للإساءة إلى سمعة الإسلام والمسلمين[٥].

الحذر من الغفلة عن الأعداء

٢- النساء:,٤٦

٣- البقرة:,١٠٤

٤- تفسير الإمام العسكري المنسوب إلى الإمام العسكري ص ٤٧٨ – ,٤٧٩

٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١ ص ٣٢٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

ورد في العديد من الروايات الحث على اليقظة التامة من العدو، وعدم الغفلة عنه، في كل صغيرة وكبيرة، ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: من نام لم يُنم عنه[٦]. فالعدو دائم الترصد لك، فإن غفلت عنه باغتك ولذا ورد وصف من يقع في ذلك بأنه من عظيم العجز فقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: والله إن امرأ يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه، ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه [٧].

الصلح لا يمنع الحذر

ولو صالحت عدوا لك، نتيجة ما تفرضه بعض الظروف فإنّ هذا لا يعني إطلاقا أن تغفل عن هذا العدو أو تأمن جانبه ففي عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر يقول: لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى، فإن في الصلح دعة لجنودك، وراحة من همومك، وأمنا لبلادك، ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن[٨].

الصحيح سوء الظن بالأعداء لا حسن الظن بهم

ورد الحث في الروايات على حسن الظن بالناس، بل ورد النهي عن سوء الظن بهم، إلا في مواطن خاصة، فإن سوء الظن يصبح مطلوبا، وذلك كما في مواطن الاحتراس من العدو فعن الإمام الحسن عليه السلام: الاحتراس من الناس بسوء الظن، هو الحزم[٩].

وهذا هو القرآن الكريم وعندما يتعرّض بالتعليم لطريقة القتال، ينبّه المؤمنين المجاهدين على ضرورة الحذر من الاعداء مبينا كيف يتحينون الفرص لمباغتة

٦- نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٢، كتابه إلى أهل مصر.

٧- نهج البلاغة، الخطبة ٣٤,

٨- نهج البلاغة، عهد الإمام لمالك الأشتر.

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٥ ص ١١٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

المسلمين، قال تعالى: "وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَة وَاحِدَة"[١٠].

تربية أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم

لقد كانت العيون تترصد بشيعة أهل البيت عليهم السلام تريد النيل منهم والنقيصة فيهم، وذلك لانتسابهم للأئمة، حيث لم يجد أعداء أهل البيت عليهم السلام مجالا للطعن على الأئمة بشيء، فأرادوا الطعن بهم من خلال الطعن بشيعتهم واتباعهم وأنصارهم، ولذا ورد تحذير الأئمةعليهم السلام لشيعتهم من ذلك وتربيتهم على الحذر من ارتكاب بعض ما يكون بابا للتشنيع عليهم وعلى الإئمة ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: يا معشر الشيعة إنكم قد نسبتم إلينا، كونوا لنا زينا، ولا تكونوا علينا شينا[١١].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: معاشر الشيعة كونوا لنا زينا، ولا تكونوا علينا شيئا، قولوا للناس حسنا، احفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول[١٢].

كما بيّنت روايات أخرى إن فائدة هذا هي الاقتراب بالناس من الأئمة عليهم السلام، وجعل قلوب الناس تهوى الأئمة لما ترى من الشيعة من حسن الخلق، والآداب، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: يا عبد الأعلى... فاقرأهم السلام ورحمة الله يعني الشيعة وقل: قال لكم: رحم الله عبدا استجرَّ مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون ويكف عنهم ما ينكرون[١٣].

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: رحم الله عبدا حببنا إلى الناس ولم يبغضنا إليهم، أما والله لو يروون محاسن كلامنا لكانوا به أعز، وما استطاع أحد أن يتعلق

١٠- النساء:,١٠٢

١١- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٨٥ ص ,١١٩

١٢- وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي ج ١٢ ص ,١٩٤

١٣- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٢ ص ٧٧.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

عليهم بشيء، ولكن أحدهم يسمع الكلمة فيحط إليها عشرا[١٤].

وفي هذه الرواية نجد بوضوح كيف يبيّن الإمام عليه السلام أن ما يجب على الشيعة الحذر منه أن يتعلق أحد عليهم بشيء، أي أن يبدأ بتوجيه أصابع الذم إليهم بفعل من أفعالهم، فالفعل الصغير قد يضخمه الأعداء فيصبح فعلا عظيما، وبابا من أبواب الذم، والطعن من قبل الأعداء، ولذا لا بد وأن تكون درجة الحذر أعلى في الموارد التي يكون الإنسان في مرمى نظر الأعداء.

خلاصة الدرس

- من مصاديق تمكين الأعداء من المسلمين فتح الباب أمامهم للطعن في المسلمين.
- من أعظم العجز الغفلة عن أعداء الدين بما يتيح لهم الفرصة للانقضاض على المسلمين.
- القاعدة والأصل هي سوء الظن بأعداء الدين والمسلمين.
- سعى أهل البيت عليهم السلام لتربية أصحابهم على الحذر من فتح الباب لأعداء أهل البيت للطعن في الشيعة، وهذا ما وردت به الروايات العديدة.

أسئلة حول الدرس

١- ما هي عاقبة الغلفة عن الأعداء طبقا لما ورد في الروايات؟

١٤- الكافي الشيخ الكليني ج ٨ ص ٢٢٩.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

٢- فسّر قول الإمام علي عليه السلام: فخذ بالحزم واتهم بذلك حسن الظن.
٣- كيف يمكن للأعداء استغلال صغائر الأمور للطعن على المسلمين؟
٤- فسر قول الإمام الصادق عليه السلام: كونوا لنا زينا، ولا تكونوا علينا شينا.

للمطالعة

قال تعالى: "وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَة وَاحِدَة وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابا مُّهِينا"[١٥].

ورد في سبب نزول الآية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل مع عدد من المسلمين أرض الحديبية وهم في طريقهم إلى مكة فسمعت قريش بذلك فبعثت بخالد بن الوليد على رأس زمرة من مئتي شخص لاعتراض طريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين الذين معه ومنعهم من الوصول إلى مكة، فاستقر خالد والذين رافقوه في الجبال القريبة من مكة. ولما كان موعد صلاة الظهر، أذن بلال، فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين جماعة، فشاهد خالد بن الوليد صلاة المسلمين ففكر في خطة للهجوم على المسلمين، وأخبر جماعته أن يغتنموا فرصة أداء المسلمين لصلاة العصر التي يعتبرونها أعز عليهم من أعينهم، فيباغتونهم بهجوم خاطف وهم في الصلاة ويقضون عليهم. وفي هذه الأثناء نزلت الآية بحكم صلاة الخوف التي تصون

١٥- النساء:١٠٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

المسلمين من كل هجوم خاطف. وهذه الآية إحدى معاجز القرآن الكريم حيث أخبرت عن وقوع هجوم قبل قيام العدو بتنفيذه وبذلك أفشلت خطة العدو[١٦].

١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٣ ص ٤٢٤-٤٢٥.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس العاشر

من المظالم، تحقير المؤمنين

"وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ"[1].

"وَاصْبِرْ نَفْسَكَ[2] مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطا"[3].

قصة هاتين الآيتين

ورد في كتب التفسير في بيان سبب نزول الآيات أنه كان بالمدينة قوم فقراء مؤمنون يسمون أصحاب الصفة، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرهم أن يكونوا في صفة يأوون إليها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعاهدهم بنفسه، وربما حمل إليهم

١- الانعام:,٥٢

٢- المعنى: احبس تفسك وكن معهم.

٣- الكهف:٢٨.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

ما يأكلون، وكانوا يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقربهم ويقعد معهم ويؤنسهم، وكان إذا جاء الأغنياء والمترفون من أصحابه ينكروا عليه ذلك، و يقولوا له: اطردهم عنك، فجاء يوما رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده رجل من أصحاب الصفة قد لزق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: تقدم فلم يفعل فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لعلك خفت أن يلزق فقره بك؟ فقال الأنصاري: اطرد هؤلاء عنك، فأنزل الله: "ولا تطرد الذين يدعون ربهم"[٤].

وورد في في بيان سبب نزول الآية الثانية: أنه جاء الأقرع علي بن حابس التميمي، وعيينة بن حصين الفزاري، وذووهم من المؤلفة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قاعدا مع بلال، وصهيب، وعمار، وخباب، في ناس من ضعفاء المؤمنين، فحقروهم، وقالوا: يا رسول الله ! لو نحيت هؤلاء عنك، حتى نخلو بك، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن يرونا مع هؤلاء الأعبد، ثم إذا انصرفنا، فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك ! فأجابهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك، فقالا له: أكتب لنا بهذا على نفسك كتابا، فدعا بصحيفة وأحضر عليا ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبرائيل عليه السلام بقوله (ولا تطرد الذين يدعون) إلى قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فنحى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيفة، وأقبل علينا، ودنونا منه، وهو يقول: كتب ربكم على نفسه الرحمة، فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فأنزل الله عز وجل (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم) الآية. قال: فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد معنا، ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها، قمنا وتركناه، حتى يقوم، وقال لنا: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي، معكم المحيا، ومعكم الممات[٥].

٤- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ١٧ ص ٨١-٨٢

٥- تفسير مجمع البيان الشيخ الطبرسي ج ٤ ص ٦٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/ims
+989217854824

أولا: تحقير المؤمن ظلم

من الأمراض الأخلاقية التي قد يُبتلى بها الإنسان المؤمن أن يعيش حالة من التحقير للمؤمنين متفضلا عليهم بما يراه في نفسه مما يفتقده غيره. وقد ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: حسب ابن آدم من الشر أن يحقر أخاه المسلم[٦].

بل من عظم هذا الذنب أن جعل الله عز وجل تحقير المؤمن في حد محاربة الله عز وجل ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: قال الله عز وجل: ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن[٧].

ثانيا: عقوبة تحقير المؤمن

نظرا لعظم هذا الذنب عند الله عز وجل فإنّ ما ورد في الروايات من بيان لعقوبة هذا الذنب والآثار التكوينية المترتبة عليه عظيم جدا فلنلحظ هذه الروايات:

أ- الرد من الله:

إذا وقع الإنسان في ذنب تحقير المؤمن، فإن الرد على ذلك سوف يكون من الله عز وجل، وذلك لأن المؤمن قد لا يستطيع أن ينتصر لنفسه ممن حقّره، فيكون العقاب إلهيا، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: من حقر مؤمنا مسكينا لم يزل الله، له حاقرا ماقتا حتى يرجع عن محقرته إياه[٨].

ب- الفضيحة والتشهير:

من العقوبات التي ينالها من يُمارس التحقير بالناس أن ينقلب الأمر عليه، وذلك بفضيحة الله عز وجل له على فعله ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من استذل مؤمنا أو مؤمنة، أو حقره لفقره أو قلة ذات يده، شهره الله تعالى يوم القيامة ثم

٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٦٥٢,

٧- ثواب الأعمال الشيخ الصدوق ص ٢٣٨.

٨- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٥١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

يفضحه[٩].

وهكذا نشهد كيف ان الروايات تجعل العقوبة من الله عز وجل، حيث يكون الانتقام والانتصار للمؤمن من الله عز وجل مباشرة، فقد ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي[١٠].

ثالثا: كيف نعالج هذا المرض الأخلاقي؟

كما بيّنت الرواية عظم هذا المرض الأخلاقي، وضرورة تجنّبه، بينّت الروايات طرق علاجه، وكيفية الخلاص منه، وهذه الطرق تتمثل بالتالي:

أ- العبودية المشتركة:

إذا تأمل الإنسان قليلا في الشخص الذي يحتقره فسوف يجد أنه يشترك معه في العبودية لله عز وجل فما معنى أن يحتقره، لا بد وأن يكون احتقاره له لأمر غير صحيح، ففي الرواية عن لقمان عليه السلام لابنه: يا بني لا تحقرن أحدا بخلقان ثيابه، فإن ربك وربه واحد[١١].

ب- الخطأ في معيار التفضيل:

من الأسباب التي تؤدّي إلى وقوع الإنسان في هذا المرض الأخلاقي، الخطأ في معيار التفضيل، فهو يرى لنفسه من الصفات ما يجعله يعتقد نفسه أفضل من الغير، فيبدأ بتحقير ذلك الغير، مع أن واقع الحال أن ذلك الغير أفضل منه، ولو وضع الإنسان في باله دائما هذا الاحتمال لأمكنه أن يحذر من الوقوع في هذه المعصية، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا يزرأن أحدكم بأحد من خلق الله فإنه لا يدري أيهم ولي الله[١٢].

٩- وسائل الشيعة (آل البيت) الحر العاملي ج ١٢ ص ٢٦٧,

١٠- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٥١,

١١- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٩ ص ٤٧,

١٢- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٢ ص ١٤٧.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

ج- القيمة الحقيقية هي عند الله:

إن القيمة الحقيقية للإنسان هي عند الله عز وجل، فإذا كان الإنسان عند الله كبيرا، فهذا هو الذي له حق أن يكون محلا للاحترام، وتحقيره يكون خللا وخطأ، فإذا كانت قيمة الإنسان عند الله عز وجل بإيمانه، فلا ينبغي أن يحقر مؤمنا، لأن هذا المؤمن يكون كبيرا عند الله، ففي الرواية: عنه صلى الله عليه وآله وسلم: لا تحقرن أحدا من المسلمين، فإن صغيرهم عند الله كبير[١٣].

كيف وقد جعل الله الإيمان من أعظم الكرامات، فكيف يقوم الإنسان بتحقير غيره وهو من أهل الإيمان ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم على الله عز وجل من المؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين[١٤].

بل كيف تحتقر المؤمن وأنت تدرك عظمة هذا المؤمن عند الله، وهي أعظم من عظمة الكعبة المشرفة بيت الله عز وجل ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى الكعبة فقال: مرحبا بالبيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله؟ ! والله للمؤمن أعظم حرمة منك لأن الله حرم منك واحدة ومن المؤمن ثلاثة: ماله، ودمه، وأن يظن به ظن السوء[١٥].

خلاصة الدرس

- تحقير المؤمنين في حد المحاربة لله عز وجل على ما وردت به الروايات.
- عقوبة تحقير المؤمن: أ- الرد من الله، ب - الفضيحة من الله للمحقِّر.

١٣- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٦٥٢,

١٤- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٣٣,

١٥- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٦٤ ص ٧١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أسئلة حول الدرس

١- ما هو تعريف التحقير؟
٢- لماذا ينتصر الله عز وجل لعبده المؤمن؟
٣- كيف تشكل العبودية لله علاجا لحالة التحقير؟
٤- كيف بيّن الرسول أن حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة؟

للمطالعة

معايير التقييم

من القضايا المهمة في حياة الأفراد والمجتمعات هي قضية " معايير التقييم " و " نظام القيم " الذي يتحكم بثقافة ذلك المجتمع. لأن كل الحركات الصادرة عن الأفراد والجماعات في حياتهم إنما تنبع من هذا النظام وتهدف إلى خلق تلك القيم. واشتباه قوم من الأقوام وأمة من الأمم في هذه القضية والتعامل بقيم خيالية لا أساس لها قد يؤدي إلى طبع تأريخهم بطابع الغرور. عبيد الدنيا المغرورون يتصورون بأن القيم تنحصر فقط في المال والقدرة المادية والتعداد البشري، وهناك نماذج كثيرة من هذا القبيل تلاحظ في القرآن الكريم، منها:

١- فرعون، الطاغية المتجبر، الذي كان يقول لمن حوله بأنه لا يصدق أن موسى عليه السلام رسول من الله، فإن كان حقا ما يقول فلم لم يعطه الله سوارا من الذهب فلولا القي عليه أسورة من ذهب. وحتى انه يرى عدمها دليل على المهانة والدونية،

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

فيقول: أم أنا خير من هذا الذي هو مهين.

٢- مشركو عصر الرسالة المحمدية، تعجبوا من نزول القرآن على رجل فقير كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم.

٣- بنو إسرائيل اعترضوا على نبي زمانهم " أشموئيل " في قضية انتخاب" طالوت "كقائد للجيش وقالوا: نحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال.

٤- مشركو زمان نوح عليه السلام الأثرياء اعترضوا عليه بأن اتبعه أراذلهم، وهم الفقراء في نظرهم قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون.

٥- أثرياء مكة أوردوا نفس هذا الاعتراض على الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقولهم: لقد أحاط بك الحفاة، ونحن نشمأز حتى من رائحتهم، فلا نتبعك إلا بابتعادهم عنك. لهذه الأسباب، كان أول عمل إصلاحي يقوم به الأنبياء هو تحطيم أطر التقييم الكاذبة تلك، واستبدالها بالقيم الإلهية الأصيلة والقيام بـ "ثورة ثقافية"أبدلوا أساس الشخصية ومحورها من الأموال والأولاد والثروة والجاه والشهرة القبلية والعائلة إلى التقوى والإيمان والعمل الصالح. فليس هناك شيء غير التقوى، والإيمان المقترن بالشعور بالمسؤولية، وصلاح العمل، ليس سوى ذلك معيارا لتقييم شخصية الإنسان وقربه من الله تعالى. وكل من كان له نصيب أكبر من ذلك كان الى الله أقرب وعنده أكرم.[١٦]

١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١٣ ص ٤٦٤-٤٦٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الحادي عشر

منطق التبرير

"لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاء الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ"[1].

قصة هذه الآيات

قال جماعة من المفسرين: إن النبي صلى الله عيه وآله وسلم كان يعبئ المسلمين ويهيؤهم لمعركة تبوك ويدعوهم للتحرك نحوها، فبينا هو على مثل هذه الحال إذا برجل من رؤساء طائفة "بني سلمة "يدعى "جد بن قيس" وكان في صفوف المنافقين، فجاء إلى النبي صلى الله عيه وآله وسلم مستأذنا أن لا يشهد المعركة، متذرعا بأن فيه شبقا إلى النساء، وإذا ما وقعت عيناه على بنات الروم فربما سيهيم ولها بهن وينسحب من المعركة!! فأذن له النبي بالانصراف. فنزلت الآية أعلاه معنفة ذلك الشخص! فالتفت النبي صلى الله عيه وآله وسلم إلى بني سلمة وقال: من كبيركم؟ فقالوا: جد بن قيس، إلا أنه رجل بخيل وجبان،

١- التوبة:٤٨-٥٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

فقال: وأي شئ أبشع من البخل؟ ثم قال: إن كبيركم ذلك الشاب الوضئ الوجه بشر بن براء "وكان رجلا سخيا سمحا بشوشا"[٢].

منطق التبرير

منطق التبرير هو من الأمراض التي يُبتلى بها الناس، ولعله يظهر بوضوح في التكاليف العامة، والتي نعبّر عنها بالواجبات الكفائية، كالجهاد، دفع الحقوق الشرعية، كفالة الأيتام وغير ذلك.

يلجأ الإنسان إلى التخلف عن القيام بواجبه، ولكنه يسعى ليقنع نفسه أولا، وليقنع الآخرين ثانيا، بأنه لم يتخلف عن أي واجب، بل هو لم يقم بهذا الواجب لعذر يراه مبررا، وهو غير مبرر في واقع الأمر. ولو رجع إلى قرارة نفسه، وخلا بنفسه لعلم أنه مجرد تبرير ضعيف، يسعى من خلاله للتستر على مخالفته للواجب.ولمنطق التبرير هذا نماذجه الكثيرة في مجتمعنا الإسلامي، فتجد شخصا موظفا في مكان ما، أو قد أوكل إليه القيام بمهمة من المهام، ولكنه في نفسه يتقاعس عن القيام بها، أو لا يرغب في ذلك، كسلا منه أو لمشقتها، فيبدأ بتبرير ذلك، بأن فلانا المتولي لمنصب من المناصب لا يقوم بها، أو أن أحد زملائه في العمل لا يقوم بها، وهذا هو منطق التبرير، ولكنه لا يلتفت من جهة إلى أن من يتذرع بهم لعل لهم عذرهم أو لعل عليهم واجبات أخرى، كما لا يلتفت من جهة أخرى، إلى أنه لو وقع اولئك في التقصير والتخلف عن أداء الواجب فهذا لا يبرر له أن يقع في الأمر نفسه.

منطق التبرير، ذنب يضاف إلى ذنب

إن الشخص الذي يسيطر عليه منطق التبرير، سوف يضيف إلى معصيته

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص ٧٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

وتخلفه عن أداء الواجب، معصية أخرى وذنبا آخر، فإنّه عندما يبرر ما يرتكبه من معصية أو ما يتخلف عنه فهو يدعو الغير إلى أن يتخذ نفس ذلك المنطق، ليفعل ما يفعله، ولذا كانت المعصية التي يتجاهر بها الإنسان أعظم من المعصية التي يتستر بها، لأن التجاهر بالمعصية يحمل دعوة لسائر الناس لارتكابها، وقد ورد في الرواية رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم فيما رواه جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام: إن المعصية إذا عمل بها العبد سرا لم تضر إلا عاملها، وإذا عمل بها علانية ولم يعير عليه أضرت العامة. قال جعفر بن محمد عليهما السلام: وذلك أنه يذل بعمله دين الله، ويقتدي به أهل عداوة الله[٣].

منطق التبرير وانعدام التوبة

إن المذنب المعترف بذنبه يفتح الله عز وجل له باب التوبة، فلو دخل في هذا الباب لتمكن من أن يكفر عن ذنبه الذي ارتكبه، ولكن المذنب الذي لا يقرّ بذنبه بل يعتمد منطق التبرير لذنبه، فلن يدخل من خلال التوبة للتكفير عن ذنبه، لأنّه ومن خلال منطق التبرير لا يقرّ بذنبه إطلاقا، فكيف يتوب؟

ولذا نقرأ قوله تعالى: "وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلا صَالِحا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ"[٤].

وورد عن لإمام الباقر عليه السلام: والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به[٥].

بل إنّ ما ورد في الروايات يؤكد على أن الإقرار بالذنب هو باب للمغفرة ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: لا والله ما أراد الله تعالى من الناس إلا خصلتين: أن يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفرها لهم[٦].

٣- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٣ ص ١٩٤٧,

٤- التوبة:١٠٢,

٥- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٣٤١,

٦- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٣٤١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

منطق التبرير والإصرار على الذنب

من أعظم المخاطر التي يقع فيها المعتمد على منطق التبرير، هو أن يقع في إثم آخر وهو الإصرار على الذنب، فقد ورد في الرواية عن الإمام علي عليه السلام: الندم استغفار، الإقرار اعتذار، الإنكار إصرار[٧].

إن المصر على ذنبه، والذي يسعى للتستر على ذنبه بمنطق التبرير، وهو يعلم يقينا أن الله عز وجل لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم حقيقة ما يقوم به، يكون ممن يرتكب كبيرا لأنه يأمن بذلك من مكر الله، وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: الإصرار أمن، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون[٨].

منطق التبرير والاستخفاف بالذنب

من المخاطر أيضا التي تحيط بمنطق التبرير، أن يعيش الذي يعتمد على هذا المنطق حالة من الاستهانة والاستخفاف بالذنب. وهذا ما ورد التحذير عنه لأنه من المفاسد التي تجر الإنسان من معصية إلى أخرى، وفي يوم القيامة سوف يُسأل الانسان عن كل ما اقترفه صغيرا كان أو كبيرا، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم: يا بن مسعود، لا تحقرن ذنبا ولا تصغرنه، واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحا ودما يقول الله تعالى "يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرمحضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا"[٩].

فلا بد وأن يشعر الإنسان بالمسؤولية تجاه ما ارتكبه من ذنب، بل أن يشعر بثقل الذنب وإن كان صغيرا، ورد في الرواية عن رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم: إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه[١٠].

٧- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٣٤١,

٨- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ٩٩٣,

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧٤ ص ١٠١,

١٠- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ٩٩١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

بل إنّ من التوفيق الإلهي الذي يحيط بالإنسان أن يتذكر ذنبه، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عيه وآله وسلم: إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة والإثم عليه ثقيلا وبيلا، وإذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه[١١].

خلاصة الدرس

- منطق التبرير هو عبارة عن ارتكاب المعصية والمخالفة ثم تبرير ذلك للنفس عبر أعذار واهية.
- في منطق التبرير ذنب مضاعف لأن في ذلك دعوة للغير للاقتداء بفعله.
- الاعتراف بالذنب باب للتوبة وهو أمر يُحرم منه من يعتمد منطق التبرير.
- منطق التبرير يؤدي إلى وقوع الإنسان في الإصرار على المعصية وهو من الأمن من مكر الله.
- منطق التبرير يؤدي إلى الاستخفاف بالذنب وهو من عظائم الذنوب.

أسئلة حول الدرس

١- عرف منطق التبرير واضعا مثالا تشاهده في الناس من ذلك؟
٢- كيف يؤدي منطق التبرير إلى إغلاق باب التوبة؟
٣- لماذا كان الذنب الذي يلجأ الإنسان إلى تبريره مضاعفا؟
٤- ما هو الاستخفاف بالذنب وكيف يقع الإنسان فيه؟

١١- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ٢ ص ٩٩١.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

للمطالعة

هاروت وماروت ملكان إلهيان جاءا إلى الناس في وقت راج السحر بينهم وابتلوا بالسحرة والمشعوذين، وكان هدفهما تعليم الناس سبل إبطال السحر، وكما إن إحباط مفعول القنبلة يحتاج إلى فهم لطريقة فعل القنبلة، كذلك كانت عملية إحباط السحر تتطلب تعليم الناس أصول السحر، ولكنهما كانا يقرنان هذا التعليم بالتحذير من السقوط في الفتنة بعد تعلم السحر وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر. وسقط أولئك اليهود في الفتنة، وتوغلوا في انحرافهم، فزعموا أن قدرة سليمان لم تكن من النبوة، بل من السحر والسحرة. وهذا هو دأب المنحرفين دائما، يحاولون تبرير انحرافاتهم باتهام العظماء بالإنحراف. هؤلاء القوم لم ينجحوا في هذا الاختبار الإلهي، فأخذوا العلم من الملكين واستغلوه على طريق الإفساد لا الإصلاح، لكن قدرة الله فوق قدرتهم وفوق قدرة ما تعلموه: فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. لقد تهافتوا على اقتناء هذا المتاع الدنيوي وهم عالمون بأنه يصادر آخرتهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق. لقد باعوا شخصيتهم الإنسانية بهذا المتاع الرخيص ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون. لقد أضاعوا سعادتهم وسعادة مجتمعهم عن علم ووعي، وغرقوا في مستنقع الكفر والانحراف ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون[١٢].

١٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ١ ص ٣١٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الدرس الثاني عشر

معيار العمل الصالح

"الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"[1].

قصة هاتين الآيتين

وردت عدة روايات في سبب نزول هذه الآيات في كتب التفسير والحديث، يستفاد من مجموعها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد صمم على إعداد جيش المسلمين لمقابلة العدو وربما كان ذلك في غزوة تبوك وكان محتاجا لمعونة الناس في هذا الأمر، فلما أخبرهم بذلك سارع الأغنياء إلى بذل الكثير من أموالهم، سواء كان هذا البذل من باب الزكاة أو الإنفاق، ووضعوا هذه الأموال تحت تصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أما الفقراء، كأبي عقيل الأنصاري أو سالم بن عمير الأنصاري، لما لم يجدوا ما ينفقونه لمساعدة جنود الإسلام، فقد عمدوا إلى مضاعفة عملهم، واستقاء

١- التوبة:٧٩-٨٠

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الماء ليلا، فحصلوا على صاعين من التمر، فادخروا منه صاعا لمعيشتهم ومعيشة أهليهم، وأتوا بالآخر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقدموه، وشاركوا بهذا الشيء اليسير الذي لا قيمة له ظاهرا في هذا المشروع الإسلامي الكبير. غير أن المنافقين الذين لا هم لهم إلا تتبع ما يمكن التشهير به بدلا من التفكير بالمساهمة الجدية فإنهم عابوا كلا الفريقين، أما الأغنياء فاتهموهم بأنهم إنما ينفقون رياء وسمعة، وأما الفقراء الذين لا يستطيعون إلا جهدهم، والذين قدموا اليسير وهو عند الله كثير، فإنهم سخروا منهم بأن جيش الإسلام هل يحتاج إلى هذا المقدار اليسير؟ فنزلت هذه الآيات، وهددتهم تهديدا شديدا وحذرتهم من عذاب الله[٢].

المعيار في قيمة العمل في الإسلام

أنزل الله عز وجل شريعة الإسلام ليبيّن للناس التعاليم التي ينبغي أن تكون مُعتمَدة من قبلهم في تقييم الأمور ومعرفة الحق من الباطل أو العمل المقبول من غير المقبول، أو معرفة العمل الأفضل من العمل المفضول.
فالمعيار الذي يسير عليه الناس هو أن من يقدّم أكثر هو صاحب الفضل الأكبر، ملاحظين في ذلك مجرد قضية أنه أكثر بذلا أو أكثر عطاء، ولكنّ القرآن الكريم يرفض ذلك، مؤكدا خطأ هذا المعيار، وهذا هو المستفاد من الآيات المباركة المذكورة في هذا الدرس.

كما وردت الروايات العديدة التي تؤكد على أن العمل الأفضل عند الله عز وجل لا يرتبط بالكثرة فقط، بل يخضع لمعايير أخرى في التقييم.

العمل الأفضل عند الله

حتى يوصف العمل بأنّه أفضل وموجبا للتقرب أكثر من الله عز وجل، لا بد وأن تجتمع فيه صفات عدّة:

٢- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص ١٣٩-١٤٠.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أ- الإخلاص:

الإخلاص في العمل شرط في القبول وشرط في الوصول إلى الغاية الرئيسية التي يريدها الإنسان من العمل وهي التقرّب إلى الله عز وجل. وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: الإخلاص غاية الدين[٣].

كما ورد في الروايات بيان أن الاخلاص هو الموجب لكون العمل أفضل عند الله عز وجل، ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين[٤].

بل لعل الصورة الظاهرية التي تبدو للناس أن النجاحات والانتصارات التي يكتبها الله عز وجل تنحصر العلة فيها بما يعدّه الإنسان بحسب الظاهر سببا لذلك، ولكن الروايات وردت بأن بعض ما لا يراه الناس ولا يعدّونه سببا للانتصارات هو السبب الحقيقي ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم[٥].

ب- العمل الصحيح:

إذا كان المطلوب من العمل هو الوصول إلى غاية وهدف محدد، فإن العمل الذي يكون موصلا إلى ذلك هو العمل الصحيح، لا العمل الكثير، فما على الإنسان أن يسعى إليه وأن ينظر إليه هو أن يكون عمله صائبا لا أن ينظر إلى الكثرة فقط، وهذا مضافا إلى شهادة فطرة الإنسان ووجدانه بذلك، وردت به الروايات، فعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا): ليس يعني أكثركم عملا، ولكن أصوبكم عملا، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة[٦].

ج- العمل مع العلم:

٣- غرر الحكم: ٨٥١، ٧٤,

٤- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٧٥٤,

٥- ميزان الحكمة محمد الريشهري ج ١ ص ٧٥٥,

٦- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٩٣ ص ١٥٠ حديث ٣.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

من الأسباب التي ينبغي أن تلحظ في الحكم على العمل بأنّه أفضل عند الله عز وجل هو أن يصدر العمل عن علم، أي أن يكون العامل مدركا لما يقوم به ولما يترتب على عمله من آثار ونتائج، ففي الرواية عن الإمام الكاظم عليه السلام: قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود[٧].

وهذا يرجع إلى نفس ما ذكرناه سابقا، فإن الغاية لما لم تكن هي مجرد العمل، بل الوصول من خلال العمل إلى نيل مقام القرب من الله عز وجل والوصول إلى غاية مراد المريدين فإن العلم هو من أهم أسباب الوصول إلى ذلك ولذا ورد في الروايات وبألسنة متعددة بيان فضل العامل عن علم عن العامل عن جهل، بل وبيان أن القليل مع العلم أفضل وخير من الكثير مع الجهل ففي الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ركعتان يصليهما العالم أفضل من ألف ركعة يصليها العابد[٨].

ورد في رواية أخرى تفضيل العمل القليل على الكثير إن كان الأول قرينا لليقين فعن الإمام الصادق عليه السلام: العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين[٩].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: يأتي صاحب العلم قدام العابد بربوة مسيرة خمسمائة عام[١٠].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ساعة من عالم يتكئ على فراشه ينظر في عمله، خير من عبادة العابد سبعين عاما[١١].

د- المداومة على العمل:

٧- تحف العقول ابن شعبة الحراني ,٣٧٨

٨- من لا يحضره الفقيه الشيخ الصدوق ج ٤ ص ٣٦٧ حديث ,٥٧٦٢

٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٧١ ص ٢١٤ حديث ,١٠

١٠- بحار الأنوار العلامة المجلسي ج ٢ ص ١٨ حديث ,٤٨

١١- روضة الواعظين النيسابوري ص ١٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/ims
+989217854824

من أسباب التفضيل بين الأعمال، المداومة على العمل وإن كان قليلا، ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد، وإن قل[١٢].

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام كان يقول : إني أحب أن أدوم على العمل إذا عودتني نفسي، وإن فاتني من الليل قضيته من النهار، وإن فاتني من النهار قضيته بالليل، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دبم عليها[١٣].

هـ- العمل الذي لا يلحقه الأذى:

قال تعالى: "الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواْ مَنّا وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ"[١٤].

ذكر في تفسير الأمثل: (تبين هذه الآية منطق الإسلام في قيمة الأشخاص الاجتماعية وكرامتهم، وترى أن أعمال الذين يسعون في حفظ رؤوس الأموال الإنسانية، ويعاملون المحتاجين باللطف ويقدمون لهم التوجيه اللازم، ولا يفشون أسرارهم، أفضل وأرفع من إنفاق أولئك الأنانيين ذوي النظرة الضيقة الذين إذا قدموا عونا صغيرا يتبعونه تجريح الناس المحترمين وتحطيم شخصياتهم)[١٥].

فالعمل قد يصدر عن نية خالصة ويكون مستجمعا لشروط القبول عند الله، ولكن الإنسان يُلحقه بما يُبطله وقد ورد في الرواية الإمام الباقر عليه السلام: الإبقاء على العمل أشد من العمل، قال الراوي : وما الإبقاء على العمل؟ قال: يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتب له سرا، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء[١٦].

١٢- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٨٢ ح ٢,

١٣- مستدرك الوسائل المحدث النوري ج ١ ص ١٢٩ حديث ١٧٥,

١٤- البقرة:٢٦٢-٢٦٣,

١٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٢ ص ٢٩٩,

١٦- الكافي الشيخ الكليني ج ٢ ص ٢٩٦ حديث ١٦.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

خلاصة الدرس

- تعتمد الناس معيار الكثرة لكون العمل أفضل، وهذا ما لا يقرّه الإسلام.
- العمل الأفضل عند الله عز وجل هو الذي يقترن ب-:

أ - الإخلاص

ب - العمل الصحيح

ج - العمل مع العلم

د- المداومة على العمل

هـ- - العمل الذي لا يلحقه الأذى.

أسئلة حول الدرس

١- لماذا كان الإخلاص من أسباب تفضيل العمل؟

٢- كيف تفسّر قوله تعالى: (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا)؟

٣- لماذا كان العمل من العالم أفضل من العمل من الجاهل؟

٤- ما هو المراد من الإبقاء على العمل؟

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

للمطالعة

إن نوع العمل هو المهم لا مقداره، وهذه الحقيقة في القرآن واضحة جلية، فالإسلام لم يستند في أي مورد إلى كثرة العمل ومقداره، بل هو يؤكد دائما وفي كل الموارد على أن الأساس هو نوع العمل وكيفيته، وهو يولي الإخلاص في العمل أهمية خاصة، والآيات المذكورة نموذج واضح لهذا المنطق القرآني. وكما رأينا أن القرآن الكريم مجد عملا مختصرا لعامل مسلم بقي يعمل إلى الصباح في استقاء الماء بقلب يغمره عشق الله ومحبته، وينبض بالمسؤولية تجاه مشاكل المجتمع الإسلامي ليحصل على صاع من تمر ويقدمه لمقاتلي الإسلام في لحظات حساسة وفي مقابل ذلك نرى القرآن قد ذم الذين حقروا هذا العمل الصغير ظاهرا، الكبير واقعا، وهددهم وأوعدهم بالعذاب الأليم الذي ينتظرهم. ومن هذه الواقعة تتضح حقيقة أخرى، وهي أن المسلمين في المجتمع الإسلامي الواقعي السالم يجب أن يحسوا جميعا بالمسؤولية تجاه المشاكل التي تعترض المجتمع وتظهر فيه، ولا يجب أن ينتظروا الأغنياء والمتمكنين يقوموا وحدهم بحل هذه المشاكل والمصاعب، بل على الضعفاء أيضا أن يساهموا بما يستطيعون، مهما صغر وقل ما يقدمونه، لأن الإسلام يتعلق بالجميع لا بفئة منهم، وعلى هذا، فعلى الجميع أن يسعوا في حفظ الإسلام ولو ببذل النفوس والدماء، ويعملوا بكل وجودهم من أجل حياته وصيانته. المهم أن كل فرد يجب أن يبذل ما يستطيع، ولا يلتفت إلى مقدار عطائه، فليس المعيار كثرة العطاء وقلته، بل الإحساس بالمسؤولية والإخلاص في العمل. ومن المناسب في هذا المقام أن نطالع حديثا نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث سيئل: أي الصدقة أفضل؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: "جهد المقل"[١٧].

١٧- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ج ٦ ص ١٤٢.

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الفهرس

المقدمة	٥
الدرس الأول: حبّ الجاه والعزة الموهومة	٧
قصة الآية	٧
حبّ السلطة من أعظم الأمراض	٩
آفات حبّ الرئاسة	٩
العزة الحقيقية والعزة الموهومة	١٠
أولا، العزة الحقيقية	١٠
أعظم العز	١١
ثانيا، العزّة الموهومة	١١
الدرس الثاني: التسويف والإصرار على التوبة	١٥
قصة الآية	١٥
إياك والتسويف	١٦
التسويف ملازم للهلاك	١٧
كيف نواجه حالة التسويف	١٧
أهمية الإصرار على التوبة	١٨
الدرس الثالث: حقيقة الإسلام ومراتبه	٢٣

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

قصة الآية	٢٣
حقيقة الإسلام	٢٣
مراتب الإسلام	٢٥
التسليم والطاعة لأمر رسول الله وخلفائه عليهم السلام	٢٦
كيفية التسليم	٢٦
الدرس الرابع: بلاء النعمة	٣١
قصة الآية	٣١
الدروس المستفادة من القصة	٣٢
الدرس الخامس: كتمان السر	٣٩
قصة الآية	٣٩
أهمية كتمان السر	٤٠
الدرس السادس: الخيانة	٤٧
قصة الآية	٤٧
أنواع الأمانات وكيف تكون الخيانة	٤٨
من مصاديق الخيانة	٤٩
الدرس السابع: المفاخر بالإيمان	٥٥
قصة الآية	٥٥
ما هو الفخر؟	٥٦

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

الفخر من الآفات المهلكات	٥٦
أسباب وقوع الإنسان في الفخر	٥٧
كيف نعالج الفخر؟	٥٨
ما يصح الفخر به	٥٨
الدرس الثامن: الرقابة الإلهية والرقابة الذاتية	٦٣
قصة الآية	٦٣
الرقابة الإلهية	٦٤
الرقابة الذاتية لدى المسلم	٦٥
المراقبة في الطاعة والمعصية	٦٦
الدرس التاسع: حصانة المسلمين	٧١
قصة الآية	٧١
حصانة المسلمين	٧٢
. الحذر من الغفلة عن الأعداء	٧٣
. الصلح لا يمنع الحذر	٧٣
. الصحيح سوء الظن بالأعداء لا حسن الظن بهم	٧٣
تربية أهل البيت عليهم السلام لشيعتهم	٧٤
الدرس العاشر: من المظالم: تحقير المؤمنين	٧٩
قصة الآية	٧٩
تحقير المؤمن ظلم	٨١
عقوبة تحقير المؤمن	٨١

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824

كيف نعالج هذا المرض الأخلاقي؟ ٨٢
معايير التقييم ٨٤
الدرس الحادي عشر: منطق التبرير ٨٧
قصة الآية ٨٧
منطق التبرير ٨٨
منطق التبرير، ذنب يضاف إلى ذنب ٨٨
منطق التبرير وانعدام التوبة ٨٩
منطق التبرير والإصرار على الذنب ٩٠
منطق التبرير والاستخفاف بالذنب ٩٠
الدرس الثاني عشر: معيار العمل الصالح ٩٣
قصة الآية ٩٣
المعيار في قيمة العمل في الإسلام ٩٤
العمل الأفضل عند الله ٩٤
الفهرس ١٠١

أكاديمية الحضارة الإسلامية المفتوحة
www.islamiccoa.com/lms
+989217854824